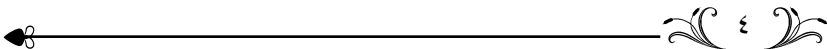


معاناة حلم

معاناة حلم

رواية

أفنان سعيد البيات



اسم الكتاب: معاناة حلم
اسم الكاتبة: أفنان سعيد البيات
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى - يوليو ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 15805 / 2019



١١٤ ع جنوب الأحياء - السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،



المقدمة

من سطور هذه الرواية أنسج أسمى عبارات الشكر والتقدير للذين
لولا الله ثم هم ما رأيت هذه الرواية النور، أهدي هذه الرواية لأمي وأبي
وكل من ساعدني -وهم كثيرون لا أحصيهم- ولكل من قابلته في حياتي
سواء أكان يعرفني أم لا وبالتأكيد لك أيها القارئ.



ماذا لو كان الماضي يطبق بأنياه على عنقك! لا تستطيع فعل هذا
ولا ذاك! هل تقهره وهو الذي لا يقهر! أم تتخلى عن كل شيء
ببساطة!

في السحاب

لمعت عينا (تقى) وهي تتخيل ما سيحدث بعد ساعات قليلة، فور هبوط الطائرة ستقطع الشوط الثاني من رحلة الألف ميل، تعبها في السنين الثلاث الأخيرة شارفت أشجاره أن تطرح ثمارها، ما زالت تتذكر جهدها الذي بذلته في الماضي، تتذكر اللحظة التي حفرت فيها بذرة حلمها في عقلها وسقته في سنوات من روحها وحبها وجهدها.

تنهدت بابتسامة سرعان ما زالت فور شعورها باهتزاز عنيف وغريب في هيكل الطائرة: "ما الذي يحدث؟" تساءلت داخل نفسها، اخترقت فكرة شيطانية من الأفكار التي حاولت تقى قتلها في السنوات الماضية... ستسقط الطائرة وتموتين ولن تحققي حلمك!

هزت رأسها بعنف شديد في محاولة جادة لطرد هذه الأفكار، حتى قطع حركتها خوفها من نعتها بالجنون.

قال قائد الطائرة بهدوء تحسده تقى وربما كل الركاب: "لقد فقدنا أحد محركات الطائرة، الرجاء من كل المسافرين مراعاة وضع الطوارئ والهدوء، أكرر الرجاء من كل المسافرين مراعاة وضع الطوارئ والهدوء"

وما إن أنهى حديثه حتى سقطت أفنعة الأكسجين ومعها سقط كل هدوء المسافرين.

حاولت أن تهدئ من روعها بنظرها إلى النافذة، ولكن هذا لم يزلها إلا رعباً؛ فقد شاهدت خطوطاً نارية بالقرب منها واستنتجت الحقيقة الصادمة؛ فهي جالسة بالقرب من محرك الطائرة المحترق!

وما زاد الطين بلة هو وجود راكب بجانبها لم تتأثر همهمات المملة بالأحداث الراهنة، هي تُقدر حسن نيته في محاولة يائسة لتخفيف رهبتها، لكن وقته خاطئ جداً.

فكل ما يشغل تفكيرها في الوقت الراهن... حلمها! اعتصرت بين يديها الذاكرة الإلكترونية التي تحوي آخر كتاباتها، قد أصرت أن تحملها بيدها لتحميمها مما قد يحصل لها داخل الحقيقة، هذه الذاكرة تحتوي على تعب سنوات ماضية.

أغمضت عينيها لكن ذلك لم يمنع دموع الضعف من التساقط... الضعف لعدم مقدرتها على إنقاذ حلمها... الضعف لأنها شاركت بقتل حلمها مرات ومرات في الماضي... الضعف لأن العالم الخارجي أقوى من عالمها... لأنها لم تقدم كل ما تستطيع لحلمها، والأهم من هذا كله الضعف لأنها تسمح للأفكار القاتلة بغزو عقلها.

ترجّت ربها أن يزيد من عمرها يومين لا أكثر، يومين... يكفيان لتصل بهذه الذاكرة لدار النشر المناسب، يومين... لقطف ثمار حلمها، لكنها تعلم أنه لو مقدّر لها الموت في هذه الرحلة فلن ينفعها رجاؤها، ابتسمت بسخرية على حال البشر يتمنون لحظة من الحياة بعدما قدمت لهم على طبق من ذهب ورفسوها لظنهم أنهم سيحصلون على المزيد كما تقتضي العادة.

ليتها علمت أمس أن هذا ما سيحدث، لكانت بالتأكيد ستسلم الذاكرة لشخص تثق به يكمل مشوارها، ازدادت سخريتها من نفسها: "لكن يا حمقاء من يعلم ما المخبأ له بعد لحظة من الآن!"

كانت قد وصلت لأقصى درجات التحمل، حين صاحت في الراكب بما أوتيت من تهذيب أن اصمّت!

بدت ردة فعله غريبة؛ فلم يصمت بل ازداد حديثاً وكأنه فهم تصرفها عكسًا، فقد ظن أنها بدأت تتجاوب معه وتحدثه.

ضربت تقى جبينها بياس كيف تتصرف مع هذا المزعج الآن! ضحك الراكب فجأة، وبعدها أدمعت عيناه فرحًا قال أخيرًا ما يمكن فهمه: "الأجواء جميلة."

بجملته تلك أيقنت تقى أنه مجنون، لولا الأوضاع لكانت طلبت تغيير محلها بالحال، حاولت أن تتجاهله وهي تتأمل أصابع يدها أدركت

حينها أنها شبه حية في عالم نسجه خيالها، عالم وردي كل شيء يتحقق فيه، لكن مخالب الواقع لم تدعها وشأنها حيث نهشته نهشاً فأصبح عالمها كبقايا لوحة زجاجية تجرح كل من يقترب منها!

رأت تقى أخيراً مضيقة الطيران فسألته عن مستجدات الأمور لعلها تخبرها فيطمئن قلبها، أجابت المضيقة على عجل: "الأمور جيدة وتحت السيطرة سنهبط قريباً على الماء." وأكد كلامها قائد الطائرة حيث أعطى لكل المسافرين التعليقات المناسبة لهكذا حالات.

سخرت تقى بداخلها: "أَيُّ سيطرة تكون في الهبوط على الماء!" اهتزاز الطائرة العنيف وصراخ المسافرين الذي يَصُم الأذان منعها من إكمال سخريتها، وما هو إلا جزء من الثانية حتى سقط هيكل الطائرة كشهاب غاضب بسرعة جنونية في الماء، لو رآها طفل لتمنى أمنية، المسكين لا يعلم أن الأشخاص بداخلها مشرفون على الهلاك!

بأيّ حال كانت تقى... تضم نفسها والذاكرة جعلتها قريبة من قلبها، شريط ذكرياتها يمرّ بالعرض البطيء أمامها كأنه يستهزئ بها انظري ما الذي فعلته في الماضي حتى تستحقي مثل هذا الموت، حتى دموعها نضبت كأنها تستحي الظهور أمام عظمة الماء الذي سيسقطون فيه قريباً! سؤاها الوحيد ما مصيرها! أو بالأحرى ما مصير حلمها!

سلسلة قديمة

حسنًا، لم تكن تقى يومًا شجاعة، لاسيما عندما تركت حلمها في الوقت الذي وقف العالم ضدها، لم تكن شجاعة القدر الكافي عندما تأخرت كل هذا الزمان لتقطع نصف الطريق، لم تعرفها الشجاعة في الوقت الذي سمحت للآخرين والعقبات بتأخيرها عن حلمها، وبالتأكيد ليست شجاعة الآن عندما أغمضت عينيها حتى بانث التجاعيد من حولها، وهي تقرب يديها أكثر لجسدها مكونةً حاجزًا منيعًا ضد ما ينتظرها.

فتحت عينيها أخيرًا عندما لامست قطرات الماء شديدة البرودة بشرتها، لحظة باردة! رائع! ازداد الأمر سوءًا هم في وسط الماء في درجة برودة تقارب التجمد! هل هناك أفضل من هكذا مغامرة!

وسَّعت عينيها لتبصر أكثر، فما رآته صدمها، هناك بعض المسافرين الأحياء الذي يبدوون مثل الوحوش في مهاجمة الناس يتدافعون في عويل إلى خارج الطوارئ، بالطبع فمن يريد البقاء في هيكل طائرة مُشتعل في الماء... ورائحة الوقود تكاد تفقدها وعيها.

حرّكت بصرها، فرأت مسافرين آخرين خالفوا تعليمات قائد الطائرة
 ينفخون سترة النجاة الآن فحسب! مصير هؤلاء هو الموت!
 أفزعها كم الإصابات الهائلة في أغلب المسافرين ، هي ذاتها لم تسلم
 من الجروح، فجسدها ينزف، تساءلت هل فقدت الإحساس لهذه الدرجة
 حتى لا تحاول القيام من مقعدها لتنجو بنفسها؟
 بعض الجثث مغمضة العينين لا تتحرك، تمتّ بداخلها أن تكون مجرد
 نيام مع أن هذا مستحيل في هذه الأوضاع المميتة.
 قتلها الفضول لمعرفة حال الراكب بجانبها، أقسمت إنه مجنون عندما
 شاهدته يضحك!
 التوى فمها بابتسامة استغراب، قبل أن تعي ما حولها فتسارع لإيجاد
 مخرج من هذه الطائرة، فالماء يكاد يصل إلى كتفيها، وما يزيد الأمر خطراً أن
 الماء امتزج مع وقود الطائرة.
 تحررت من حزام الأمان بشقّ الأنف، وتحاملت على نفسها لتخرج
 قدمها العالقة، مظهر الدماء الخارجة من جسمها أصابها بالدوار لكنها تعلم
 أنها لو تأخرت عشر ثوانٍ أخرى فستكون في عداد الأموات، لا سبيل
 للتباطؤ.

دارت الدنيا فوق دورانها! سلبية أخرى من سلسلة سلبياتها أعلنت
تمردتها حتى ظهرت للعيان! هي تخشى الأماكن المرتفعة! كيف لها أن تنزلق
من المزلاج الطويل حتى تصل إلى قارب النجاة الآن!

عقلها يصرخ: انزلقى الآن! أما قلبها فهو يترجى أن تعود أدراجها
وتتظر الموت فوق مقعدها كما هي عاداتها... الجميع مُتَحَكِّمٌ في حياتها ما
عداها، مسحت دموعها بعنف شديد لدرجة كادت أن تزيد من جراح
وجهها، لن تستمع إلى قلبها مجددًا، ما الذي فعله لها قلبها عندما تعلق الأمر
بحلمها؟ لا شيء! لا شيء! سوى الضعف والدمار لكل ما بنته! دمار كلي
بالمعنى الدقيق للكلمة!

عاهدت نفسها وانتهى الأمر! من الآن فصاعدًا لن تسمح لأي شيء
أن يثنيها عن تحقيق حلمها حتى لو كان هذا الشيء قلبها!
تجاهلت تمامًا رغبته في الخروج من قفصها الصدري وهي ترسو في
قارب النجاة، تعمدت وضع الذاكرة بجانبه كأنها تخبره أن حلمها من
سيقتصر أخيرًا!

انتشلها صوت الراكب الذي جلس بجانبها في الطائرة من قوقعة
الأفكار، مما سبب لها رعشة في جسدها الدامي.

رفع الراكب حاجبًا وبصوت لا تُعرف مشاعر صاحبه قال: "لم تنكرين معرفتي؟"

تقى وهي تزن كل حرف يخرج من فيها: "لأنني حقًا لا أعرفك."
الراكب وقد بدى عليه الاستمتاع الشديد: "أنا نوح!" قفزت ذكرى من بقايا عالمها، ذكرى جارحة حاولت تقى دفنها بشتى الطرق، لكنها كحال كل الذكريات السيئة تختار أسوأ الأوقات لتخرج.
شهقت فرغم ضبابية الذكرى لمجرد قول اسمه الأول إلا أنها تعلم أنه في إحدى زوايا ذاكرتها يرتبط هذا الشخص بعالمها السابق، ارتباطًا وثيقًا معقدًا، هاتان العينان ليستا غريبتين! ها قد عاد الماضي ليلحقها! وفي أخرج الأوقات...! وا أسفاه!

أنياب الماضي

ألبست تقى وجهها قناعاً جليدياً وقد أتقنت الدور ببراعة، فقالت بصوت أبرد من الماء الذي تحتهم: "لمَ ظهرت الآن؟ بعد كل ما حدث!"

ضحك نوح ضحكة حركت أمواج البحار من شدتها، تقى محدقة في كل شيء إلا وجهه: "كان عليّ أن أحزر من البداية، فلا يوجد شخص في العالم يضحك باستفزاز دائماً ومن غير سبب سواك!"

"عزيزتي أنا لا أضحك إلا عندما أكون بجانبك، سذاجتك المضحكة غير معقولة." حاول نوح التلاعب بأعصابها بقوله هذا، لكن تقى لم تُظهر تأثير كلامه عليها بالرغم من غليان أعماقها.

ازداد بريق عيني تقى العسليتين بفعل انعكاس أشعة القمر عليهما وهي تقول بهدوء شديد: "الن أسمح لك بتدمير حياتي مجدداً، أخذت فترة كبيرة حتى تجاوزتُ المحنة؛ فسامحتُ نفسي وداويتُ ندوب قلبي!"

ابتسم بخبث وهو يقول ببرود: "مشكلتك أنك لا تعرفين ما أعرفه عنك وما الذي بإمكانه فعله لك، إن كنت مكانك لحذرت مني ألف مرة ولم أكن لأتحدث بهذه الطريقة، هل فهمتني يا آنسة تسنيم؟"

ناداها بذلك الاسم، توسعت عيناها صدمة... إذا كان يعرف اسمها الحقيقي إذن فهو يعرف ماضيها بأغلب تفاصيله المملة! يعرف ما كانت تهرب منه لسنوات! لقد اخترق كل دفاعاتها ولا سبيل للهرب أو الإنكار! حتى إنها لا تستطيع تبني الموقف البارد بعد الآن!

تساءلت تقى وعقلها يكاد ينفجر كيف عَلم الاسم! هي حرصت كل الحرص أن تحبى ذلك الماضي، صحيح أنها تعرف نوعًا وحدث بينهما أشياء كثيرة في الماضي لكن ليس لدرجة معرفة الاسم!

نوح: "ما به لونك تغير آنسة تسنيم؟ هل قلت شيئاً أزعجك! تعرفين أن سعادتك وسلامتك كل ما يهمني." ثم ضرب على جبينه يكمل: "كيف نسيت؟ أنتِ غيرتِ اسمك إلى تقى..."

قاطعت تقى قبل أن يكمل كلامه قائلةً بحدة: "كفى! ما الذي تريده

لتنسى الاسم وصاحبته؟"

بحركة خاطفة سحب نوح الذاكرة من تقى ولأنه باغتها لم تستطع منعه، لَوَّح نوح بالذاكرة يميناً ويساراً بالقرب من ماء البحر، وكانت تلك الحركة كافية لاستفزازها حتى كادت تفقد أعصابها وتحكمها بذاتها!

قال نوح ببرود: "لم أكن أتمنى أن تصل الأمور بيننا لهذا المنحنى الخطر، لكنك تريدن الأسوأ! لكِ هذا... أريد خمسة ملايين دولار!"

شعرت تقى أن قلبها قريباً سيعلن استسلامه خصوصاً مع تلويحه الذاكرة بمقربة من الماء، قالت: "تطلب الكثير!"

نوح بابتسامة باهتة: "لأنني أملك الكثير." وتأكيذاً على كلامه قرب الذاكرة من الماء، أردف بزيف: "يا إلهي! آثار دماءك على الذاكرة! علي أن أدخلها في البحر لأحیی الآثار."

تكلمت تقى بصوت هادئ حاد حتى لا تجذب الانتباه أكثر من هذا قائلة: "لا تفعل! أنا لا أملك المبلغ لكنني سأدبره لك! أعد لي الذاكرة!"

أعطى نوح الذاكرة لتقى وهو يقول كل حرف من حروفه بنبرة تهديد واضحة: "سأسلم الذاكرة لك، ولن نكمل حديثنا الآن لكى لا نجذب الانتباه أكثر خصوصاً مع الأحداث الراهنة، لكن إياك ثم إياك أن تحاولي اللعب معي وأنت تفهمين تمامًا مقصدي وتعلمين ما الذي يمكنني فعله!"

ما إن استلمت تقى الذاكرة حتى عضت شفتيها لتمنع الدموع المكبوتة من السقوط يجب أن لا يرى نوح ضعفها ليس الآن فهو قد رأى ما يكفي حتى لا يحترمها، أشاحت بوجهها للجزء المعاكس لنوح، أرادت أن تذهب لمكان آخر، لكنَّ القارب الصغير بالكاد يستوعب جسدها.

هي ضائعة بكل ما تعني الكلمة من معنى! فهي مشرفة على أن تخسر كل شيء من غير أن تملك أيَّ حيلة لتساعد نفسها! والأعظم أنها حتى لا تعلم أين هي، في أيِّ بحر في أيِّ دولة! لا تعلم بتاتاً! لا تعلم إن كان هذا القارب المطاطي الضعيف قادراً على حملهم إلى بر الأمان بسلام! خصوصاً مع عدد الركاب الكبير جداً مقارنة بحجمه!

للأسف... فقد فقدت السيطرة على حياتها من جديد! كم تكره هذا الشعور! في الحقيقة هي تكرهه جداً! من قبل عاهدت نفسها أن لا يُعاد الماضي الأليم، لكن يبدو أن الماضي لم يعجبه عدم رغبتها فيه فأبرز عضلاته حتى كرر نفسه من غير أن ينقص شيء ربما فقط ضاعف عليها الصراعات.

مشاعر الخزي والغضب تحفر في كيان تقى حتى كادت أن تدمرها، ما الذي حدث؟ سألت نفسها، أين الوعود؟ أين القوة والطموح التي كانت لديك قبل ركوب الطائرة؟ أين الابتسامة التي كادت أن تشق وجهك؟ ما الذي حلَّ بي حتى يتحكم بحياتي أيُّ شخص يمتلك ولو قطعة صغيرة من

الماضي! ألهذه الدرجة بلغ مني الضعف! لم التناقض! أصبحت لا أعرف نفسي! لا ريب في أنني لست أنا!

كان حال نوح معاكسًا لحال تقي، فهو يبتسم ويغني ضامًا يديه إلى صدره، وتجول عيناه في كل الأرجاء -ربما- بلا هدف.

فجأة صادما الجميع بحركته غير المتوقعة يقفز إلى الماء المتجمد نسيًا حتى يتعد مسافة ليست بقليلة عن القارب ويستقر على حقيبة كبيرة فرّت من خزينة الطائفة.

قلب تقي يطرق بعنف محاولا كسر القفص والنجاة بنفسه، وقد تشكل حاجباها على شكل قوسٍ قلقٍ مترقبٍ، أما قدماها فقد اهترتا متأهبتين لأيّ جريٍّ إن لزم الأمر -مع استحالة ذلك وسط الماء-، عقلها يرسل إشارات لكل خلاياها حتى تستعد لحالة الطوارئ القادمة، فقبل أن تدرك هي أدرك جسدها أن نوحًا -المرتبط اسمه بالطوفان- لا تأتي معه إلا المصاعب!

مرّت ثانية! تحرك تقي بصرها بكل الاتجاهات... ثانيتان! تتحسس الذاكرة لتطمئن على سلامتها... ثلاث ثوانٍ! تشفق على باقي الركاب الذين جلبهم حظهم السيئ للركوب في هذا القارب بالذات... أربع ثوانٍ! هناك رائحة غريبة... خمس ثوانٍ! رائحة احتراق! ست ثوانٍ! صوت ستمنى أن

لا يسمعه عدوها... سبع ثوانٍ! ثاني أسوء حدث على وشك الوقوع! ثماني ثوانٍ! تحول القارب من كتلة مطاطية مسالمة تطفو على الماء إلى قطع صغيرة لا تستطيع أن تحمل نملة!

لبكائها في الماضي؛ أضربت عيناها عن إسقاط الدموع، والحال نفسه ليديها التي توقفت عن محاولة النجاة، قدماها بدلا من أن تعينها على رفع جسدها حاولت عكسيا الغرق! قلبها يطرق بهدوء ليعزف مقطوعة تناسب هول الموقف، تساءلت قبل أن تظلم الدنيا تماما أمام عينيها: أهذه النهاية!

قطعة من الماضي

تقى في عالم أبيض سقطت ملامحه بلا استثناء، فتحت فمها لتحدث لكنها عدّلت عن هذا القرار فلا كلام يقال هنا! أخيراً... تبدد الصمت القاتل بصوت بكاء ضعيف: "من هنا؟" قالتها وانعكاس صوتها لم تسمعه! أرادت أن تتحرك لكنّ لقدميها رأياً آخر فهما في سبات عظيم.

ازدادت نبرة البكاء أكثر فأكثر، حتى باتت مزعجة للأذان! أغلقت أذنيها تصرخ بلا صوت: "كفى!" البكاء أحاطها من كل جانب، شعرت أن هناك من يدور حولها لدرجة أنها ستفقد قريباً قدرتها على التنفس!

جملة صاحبها قالها من لا مكان: "أنتِ السبب!" تكررت مرة فاثنتين.. فمئة! لم تتوقف إلا عندما سقطت تقى في ظلام دامس.

بدأت الأصوات تتضح تدريجياً، فتحت عينيها بعد غيبوبة دامت شهراً كاملاً، أول ما قالته تقى: "لا... لا أشعر... لا أشعر بقدمي!" تبادل الأطباء النظرات بينهم، ثم استنتجوا ما كانوا يخشونه، أسوأ الاحتمالات... الشلل!

أردفت في وهن: "ما... ما الذي حدث لي؟" نكز كل طبيب الآخر ليتقدم ويشرح لها حالتها، لكن من سيكون بهذه الشجاعة لنقل مثل هذا الخبر! أخيرًا تقدم طبيب من بينهم بعد أن تنحنح قال مطرقًا رأسه: "للأسف في غيبوبتكِ احتجتِ عملية جراحية طارئة، وفي أثناء العملية حدثت مضاعفات غير محسوبة، نتج عنها شلل نصفي!"

أطلقت تقى ضحكة مكتومة بوجه عابس لا يناسبها: "مضاعفات؟ مصطلح غير جيد، أليس الأفضل الاستهتار بروحي؟ للأسف... إنني لا أملك المال الكافي لرفع قضية على مشفاكم. على الأقل ألا يوجد أمل بالشفاء؟"

أجاب الطبيب: "لم القضايا يا آنسة! نحن لسنا مذنبين، فجسدك لم يحتمل العملية واستسلم سريعًا." أكمل الطبيب واضعًا يديه في جيبه ولم ينظر إلى عينيها قائلاً باختصار: "هناك أمل!"

فهمت تقى الأمر فجسده يصرخ بأنه كاذب! ابتسمت بسخرية وقررت أن تجاريه في كذبه، تذكرت أمر الذاكرة فتوسعت عيناها: "كان معي ذاكرة إلكترونية، أين هي؟"

عقدَ الطبيب حاجبيه: "بالكاد أنقذناكِ أنتِ، ولم نحاول المخاطرة بإنقاذ الحقائق التي علقت بين الصخور." حرّكت تقى رأسها: "لا،

الذاكرة لم تكن داخل الحقيقة، هي كانت بيدي لآخر لحظة قبل أن أغلق عيني! هي مهمة جدًا جدًا بالنسبة إلي!"

غير الطبيب الموضوع: "المهم صحتك لا الذاكرة، قبل أن أنسى لم أكن أرغب أن يقابلك المحقق فلتوك أفقت من الغيوبة، لكن أوامرهم صارمة. سيدخل المحقق الآن، آسف... لم أستطع منعه، أتمنى أن لا تتعبي أعصابك."

بعد دقائق...

ضرب المحقق (إلياس) على الطاولة يسألها: "لم الصمت! تحدثي!" وعندما لم تجبه أردف: "فهمت الآن، تفعلين الشيء الذي اعتدت على فعله، التكتم على الحقيقة!" ازدادت نبضات قلب تقى واصفر لونها، لكن عنادها انتصر والتزمت الصمت.

أدار إلياس الكرسي قائلاً بنبرة هادئة: "يبدو أنك نسيت جريمة القتل!" اكفهر وجه تقى غارقة في صمتها. استطرد: "حققنا في ماضيك في خلال فترة غيوبتك، نحن نعلم أنك الشاهد الوحيد على جريمة قتل، ولسبب ما بدلا من الإدلاء بشهادتك فررت هاربة وغيرت هويتك

بالكامل، لكن نهاية المستور أن ينكشف يا آنسة تسنيم! ترى هل تريد
التكتم على جريمة الطائرة والقطار أم تراكِ أنتِ الفاعلة؟"
ظهر أخيراً صوت تقى نافياً -ولطول الصمت- بدى خشناً
متحشراً: "لست الفاعلة! نوح الفاعل!"
ابتسم إلياس ساخراً: "لسنا في لعبة فيلوم كل شخص الآخر!"
فهمت تقى الأمر، لم يكف لنوح تدميرها في الماضي يريد معاودة
الكرّة في الحاضر! يكون أحق لو صدّق أنه باستطاعته فعل ذلك! فهي لن
تسمح بهذا، وستبذل الغالي والنفيس لإظهار الحقيقة، فهي مؤمنة بنصرة
الحق ولو طال الزمان!

تحت الصفر

ترك المحقق إلياس تقى بعدما يئس في الحصول على معلومات منها،
فور خروجه غالبت دموعها بفعل قضبان رموشها لثلا تسقط، شَدَّها منظر
النافذة أرادت الذهاب إليه، لكنَّ قدميها تجمدتا! تنهدت...! هل ستعيش
عاجزة طوال حياتها! جاء صوت من داخل عقلها - هذا الصوت هو الذي
أبقاها على قيد الحياة للآن-: العجز ليس عجز الجسد بل عجز الروح! إذا
أمعنا النظر في هذه الجملة نجدها حقيقة مئة بالمئة، ولو نتخذها نهج حياتنا
لصارت الأمور أسهل بكثير، ولَقُتِل المستحيل منذ زمن!

أسئلة جمّة تجول في عقلها، ولن تتوقف حتى تجد لها إجابة: أين
الذاكرة! هل سرقها نوح، أم علقت في قاع البحر بين الصخور! أيعقل أن
يكون قد أكلها حيوان ما من شدة جوعه! أتراها تحطمت إلى قطع صغيرة
لتتغير معالمها...!

هزت رأسها، لا هذه الأسئلة غير مهمة، يجب أن لا تشغل عقلها بها
الآن! عليها أن تفكر بأمور أكثر أهمية، مثلاً حلمها يجب أن يرى النور!

عليها أن تضع هذا الأمر من المسلّمات مهما حدث، وأن تجد طريقة للتخلص من العقبات -لا سيما نوح-، حتى لو صل بها الأمر إلى أن تبدأ من الصفر بالمعنى الحرفي للكلمة!

دخلت الطيبة فأخرجتها من عزلة عالم تفكيرها قائلة:

"عزيزتي علينا أن نتحدث عن وضعك الصحي قليلا، ما مهنتك؟"

اعتدلت تقى، وبلعت ريقها وهي تشعر أن نهاية هذه المحادثة لن تعجبها، أجابت: "إدارية، وكاتبة."

ضمّت الطيبة يديها إلى صدرها: "جيد، هل تعلمين أنه لو عُدتِ إلى عملك فستحتاجين إلى بعض الإضافات لمكتبك ك...."

عند هذه الجملة فقدت تقى قدرتها على السمع، غاصت في بحر أفكارها العميق جدًّا الذي ينتظر اللحظة المناسبة ليغرقها دون رجعة! قالت: "أتخبريني أنني عاجزة؟"

حركت الطيبة يدها: "حاشاني أن أقول هذا! فأنتم قوة العالم!"
أومأت تقى بنصف ابتسامة، مع كل هذه العقبات كيف لها أن تقف على قدميها من جديد! قفز الجواب في عقلها: كما فعلتها في الماضي ستفعلينها في الحاضر وبطريقة أفضل كذلك، جادلت: بدون قدمي؟ أجابها الصوت بقوة: بدونها.

فور مغادرة الطيبة اندثرت بين الأغطية، تنظر إلى الجانب الإيجابي مما حدث لها في الأشهر الأخيرة فقد تعلمت دروسًا لن تنساها بالتأكيد، حصلت على فرصة لكسر عقبة الماضي، وما حصل لها جعلها أقوى! وستستغل قوتها لحذف الماضي بتفاصيله الجيدة قبل السيئة! لكن... لكن هناك ما يقلق مضجعها، نوح ليس له أثر! من خبرتها به ، لا يختفي إلا ليخطط لشيء أسوأ من سابقه، آملُ أنه - هذه المرة على الأقل - يكسر القاعدة!

غموض

- "هل اشتقت لي؟"

- مشددة كل حرف: "أكثر مما تتصور!"

- "إذن لمَ لمَ تقفي لتستقبليني استقبالا يناسب مكانتي؟" شهق وأغلق فمه بيده متابعاً حديثه: "اعذريني كدت أنسى!" ثم وضع يده على إحدى قدميها: "أنت لا تشعرين بها!" حرّك رأسه للجانبين: "إنني أرى الضعف يتجسد على هيئة إنسان، أشفق على من حذرني منك وقال إنك لا تهزمين." غمز نوح منهياً حديثه: "لكنني بالطبع لا أشفق عليه لدرجة اشفائك على تقى؛ المسكينة تركت الشهادة على مقتلها وفوق هذا كله غيرت اسمك إلى اسمها."

تنفست تقى بسرعة تصرخ: "اخرج من الغرفة ومن حياتي كلها!" وعندما لم يُطعها التقطت كل ما بجانبها من أشياء على الطاولة وألقت بها عليه، مرددةً في هستيريا: "اخرج!... اخرج... اخرج... اخرج... اخرج..."

أغلقت تقى أذنيها بيديها وحركت جسدها للأمام والخلف وبدأت بالهذيان: "لم أؤذي أحداً! لم أؤذي أحداً!" ثم انخرطت في نوبة ضحك تنسب إلى مجنونة: "كان عليّ أن أفعل هذا!" نظرت إلى الفراغ تحدّثه: "هل أعجبك ما حصل لي يا تقى؟ بالطبع أعجبك، تدمرت حياتي للحد الذي جعلني أحسدك على فقدان حياتك!"

قاطعها إلياس متأملاً فوضى المكان بأغراض المريضة المبعثرة: "آه... وتحديث نفسك أيضاً! هل تريد أن أstdعي طبيباً نفسياً؟" لاحظت تقى أخيراً وجوده: "نعم! ففارس يحتاج إلى طبيب نفسي عندما قتل تقى! نعم! ونوح يحتاج إلى طبيب نفسي عندما فجر القارب وهددني، وأعتقد كذلك أن له يداً في حادث الطائرة! نعم! المجتمع يحتاج إلى طبيب نفسي عندما وقف ضد تحقيق حلمي! نعم! إذن عليك استدعاء الطبيب النفسي لهم لاي!"

جذب حديث تقى اهتمام إلياس فقرّب الكرسي إليه، ليجلس متكئاً عليه بأسفل ذقنه على يده، لم يبعد ناظره عن عينيها في إشارة منه لإكمال الحديث.

ابتسمت تقى أكبر ابتسامة في حياتها حتى بانت جميع أسنانها: "تريد الاستماع؟ جيد! وأنا أريد الحديث! فقد حان وقتي للتحدث! حان وقت الحقيقة لتظهر بعد سنين من الاختباء!" حوّلت تركيزها إلى يدها، أشارت

إلى أول أصابعها: "كانت صديقتي!" ثم أشارت إلى الإصبع الثاني: "كنا نثق به!" جاء دور الإصبع الثالث: "شكّل ما حدث أكبر صدمة في حياتي!" الآن الإصبع الرابع: "أصبح ما مررت به أكبر عائق منعي من تحقيق حلمي!"

إلياس بفقدان صبر: "أكمل! لم توقفت! أعدك أن أساعدك...
تكلمي رجاءً."

تنهدت تقى: "عادةً يكون الفعل أصعب من القول، لكن في حالتي العكس صحيح." انفعل إلياس: "لكن إلى متى ستظل الحقيقة مخفية وأنت تعلمين كل شيء! تحدّثي حتى يأخذ أصحاب الحق حقهم ويعاقب المجرمون! هذه ليست قضيتك وحدك فلا تكوني أنانية!"

أخفت تقى وجهها بين يديها: "سأكون أنانية إن تحدّثت صدقني! الأمر معقد بشكل لا يحتمل، صحيح أنها ليست قضيتي وحدي لكنني محوّرها وجزؤها الأساسي."

- "كيف تنعتين نفسك بصديقة تقى وتركين قاتلها حراً طليقاً!" تقى بغموض: "لستُ صديقتها."

إلياس عاقداً حاجبيه: "إذن من تقصدين بكانت صديقتي؟" رفعت تقى شفتيها بنصف ابتسامة: "هذه لوحدها قصة طويلة، لكن ثق بي؛ فحياة فارس الحرة هي جحيم بالنسبة إلى السجن."

- "كلامك معقد وقد آلمت رأسي! تحدثي بوضوح أكثر!"

تقى بصوت خفيف: "اسأل تقى لتفهم أكثر." إلياس: "الميتة! أتسخرين مني! ألا تعلمين أن تعطيلي جريمة بحد ذاتها!" رفعت تقى كلاً حاجبيه: "إن كان إظهار الحق جريمة فأهلاً بكل الجرائم، على أية حال، لا شيء عندي أكثر مما قلت."

وقف إلياس يهندم حُلَّته الرسمية: "لا بأس، آنسة تسنيم، اعلمي أن ما تفعلينه سيكون ضدك وإن أكملت بهذه الطريقة فلن تكون النهاية لصالحك، بل ستتحولين من مجرد شاهدة إلى متهمة!"

المريضة بهدوء: "دع الأيام تتولى مهمة إظهار الحقائق، كما أُنِي في كامل استعدادي لتحمل نتائج أفعالي."

المحقق في طريقه للباب: "إذن... حظاً سعيداً لك في السجن!"

مساعدة

- "سيدي المحقق، هناك أمر مهم يجب أن تعلمه!"

إلياس من غير أن يتعب نفسه ليستدير ويقابلها: "قولي ما لديك بسرعة فلا وقت لدي." تقى: "تهديدك لي بالسجن لا يهمني، فأنا أعلم أنني لم أفعل شيئاً غير قانوني."

إلياس بنصف ابتسامة بعدما استدار أخيراً: "وتكتمك على الحقيقة؟ أهذا قانوني؟"

- "ببساطة لم يطلب مني أحد البوح بها في الماضي."

تقدم إليها إلياس آملاً فرصة أخيرة يعلم بها الحقائق منها: "دعي الماضي جانباً، حدثيني عن الطائرة والسفينة!"

كتفت تقى يديها: "قلت لك كل ما أعرفه."

إلياس بفقدان صبر: "ألديك دليل؟" بادلته تقى سؤالاً بسؤال: "ألا يوجد ناجٍ من حادث السفينة؟"

شَبَّكَ إِيَّاسَ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ: "لو أعرف ناجين غيرك ما كنت هنا أمامك الآن! الناجيان من حادث السفينة أنتِ ونوح فقط، وكلاكما تتهربان من مساعدتي!"

- "أريد أن أساعدك بكل خلية في جسدي! لكن هذه لا تتحرك!"
حيث ضربت تقى قدمها في آخر جملة. إِيَّاس: "لا أريد مساعدة قدمكِ بل مساعدة لسانكِ ويدكِ!"

أمالَت تقى رأسها وعقدت حاجبيها: "ما أمر يدي؟" أخرج إِيَّاس ورقة من قميصه ومعها قلم، سلمها إلى تقى قائلاً:
"بتوقيعكِ على صحة أقوالكِ."

تقى وهي تبعد الورقة: "لكن... لكن أنا لم أفل إنني من صنعت قبلة تفجير القارب!" ضرب إِيَّاس جبينه: "تتكرين أفعالكِ!" قبضت تقى يديها برعشة على ملاءة السرير: "ما الذي تهذي به!"

- "حذار أن تحونك ألفاظكِ!" قالها إِيَّاس وهو يخرج الذاكرة الإلكترونية من جيبه، استطرد: "أتتكرين هذه؟ قد سألت عنها فور استيقاظكِ؟"

حاولت أخذها من يده لكنه منعها، فقالت: "لا أنكر أن هذه أهم ممتلكاتي، حمدًا لله أنها سالمة، أعدّها إليّ!"

- "إذن اعترفتِ في النهاية! "زمت تقى شفيتها: "لا أفهمك!"
إلياس: "بل تفهمين جيداً آنسة تسنيم!" أطبقت تقى فكيها: "لا تنادني بهذا الاسم!"

تجاهلها إلياس: "هذه ليست ذاكرة إلكترونية عادية! إنها مفتاح تشغيل القنبلة التي فجرت القارب!"

هزت تقى رأسها نافية: "إذن هذه ليست ذاكرتي!"

- "ما زلتِ على عنادكِ! ستخسرين صدقيني!" ودعماً لكلامه أخرج جهازاً صغيراً شغّل به الذاكرة وقد عرضت كل كتابات تقى، ثم أردف: "والآن؟ قولي لي كذلك إن هذه ليست كتاباتكِ! سهلي عليّ وعلى نفسك الأمر وقولي لي من رشوتِ حتى أدخلتِ القنبلة في الطائرة؟ أفضل ما يمكن أن أقوله لكِ بصمتكِ تقودين نفسك إلى التهلكة... حبل المشنقة!"

فتحت تقى فاهها لتتحدث لكن الكلمات ماتت في زاوية فمها، تذكرت ما حدث في القارب! نوح أخذ منها الذاكرة! الآن علمت لم أعادها بسرعة! هذه ليست الأصلية بل نسخة شبه مطابقة فقط بميزة إضافية وهي التدمير، تدمير الكل بما فيهم أنا!

زيارة

بعد خروج إلياس، حافظت تقى على هدوئها وهذا ما أثار استغرابها يبدو أنها اكتسبت ميزة جديدة، التحمل! كانت تكابد الانهيار على أتفه الأشياء وكانت النتيجة حالتها الآن.

قربت إليها الكرسي المتحرك الذي سيصبح صديقها إن لم تضع حداً لوضعها، أدارت عجلاته حتى وصلت إلى نافذة الغرفة، تفكر بما قد يكون التالي.

في منزل نوح...

أخرج نوح مجلد الصور يتلمسها بحسرة، يتمنى لو يملك قوى خارقة يخرج بها أصحاب الصورة إلى الواقع، لو أن الأمر بيده لتخلي عن كل شيء في حياته؛ ليراها مجسدة باسمه أمامه، لكن الميت لا يعود البتة: "زوجتي الحبيبة تقى! سأنتقم من تسنيم شر الانتقام، أنا أعلم أن لها يدًا في مقتلِك ليس فقط مجرد شاهدة، من أجلك يا عزيزتي تحولتُ من ذلك اللطيف إلى

الشرير الذي كنت أخاف منه في الماضي، سأدمر كل من حرمني وجودك بأبشع الطرق حتى لو كان هذا آخر شيء أفعله في حياتي، أعدك!"

في مركز الشرطة...

إلياس: "لم لا تعترف وتنتهي المسألة! التهمة ملتصقة بك والأدلة دامغة تثبت جرمك لدرجة أنه حتى لو لم تعترف سيحكم عليك أنك من قتلت تقي!" فارس: "لأنني ببساطة لم أقتل تقي..." قاطعه إلياس: "ستعيد الأسطوانة نفسها... تسنيم هي من قتلتها! لكن ألم تفكر أنه لا يوجد أي دليل ضدها؟"

فارس: "هي عبقرية لدرجة لا يمكن أن تتصورها، كل ما تفعله هو ستار لأفعالها القذرة! ثم لم تتساءل، مجرد شاهدة عادية تغادر البلاد وتغير هويتها بالكامل! ما دَفَعَهَا إلى ذلك؟ بالطبع لأنها ليست شاهدة بل قاتلة! كذلك لا تنسَ فثمة تنافس كبير بينها وبين تقي فقتلتها بدافع الغيرة. ولأثبت كلامي أريد مقابلتها! اليوم لا يمكنك منعي، في الماضي كانت مخفية لكننا الآن نعرف مكانها."

إلياس بنصف ابتسامة: "أعتقد أنني سأسمح لك بمقابلة الشاهدة الوحيدة للجريمة؟ في أحلامك الوردية عزيزي."

فارس بثقة: "أنت مضطر إلى ذلك، وإلا قلتُ في المحكمة إن الأدلة ملفقة، وقد مُنعتُ مقابلة الشاهدة الوحيدة التي تمتلك دليل براءتي! وبه ستخسر قضيتك... صدقني!"

زادت وتيرة تنفس إلياس: "تهدني؟ من أنت لتهدني! حسناً، حسناً، بإرادتي سأجعلك تقابل تسنيم لخمس دقائق فقط حتى تخسر الأمل الأخير في براءتك!"

في المستشفى...

"ادخل." قالتها تقى لطارق الباب، أردفت بفم مفتوح: "فارس!"
رفع فارس حاجباً: "جميل! تتذكريني إذن؛ حمداً لله تجاوزت أمر تذكيرك بي، دعينا نذهب إلى النقطة الأهم، ألا تشعرين أن ما حدث لك هو عقاب لجرائمك؟"

تقى: "إن كنت مجرمًا فلا ترَ الآخرين مجرمين مثلك." فارس بلا مقدمات: "أنسيتِ ما حدث بيننا؟ ثم إن كانت مزاعمك صحيحة لم تشهدي بها في المحكمة؟ سأجيب عنك، لأنكِ القاتلة؛ ومن الحمق أن تعلقي جبل المشنقة حول رقبتك." أطرقت تقى رأسها تحركه: "أنا آسفة!"

الحرية

رفعت تقى رأسها بعينين أشبه بقطرتي دم قانيتين: "آسفة لنفسي،
آسفة لحلمي، آسفة لحياتي التي أضيعها في محاولة كشف ما هو مكشوف! يا
أخبث من وجد على الأرض لا تحاول أبداً إلصاق تهمتكَ بي! صدقني
سترى ما لا يعجبك!"

"أوه، انظري إليّ أنا أرتجف! لقد أرعبتني!" قالها فارس بمتهمي
السخرية، رفع حاجبه مستطرداً: "لقد سمعتكِ وأنتِ تهدين تقى
بالقتل." ثم هز رأسه: "سمعتكِ! رأيتكِ وسمعتكِ بالأحرى! ولأنعش
ذاكرتكِ دعيني أريكِ مقطعاً لكِ تهدينها فيه، لم أُرهِ للمحقق حتى الآن."
قالت تقى بهدوء بعد مشاهدة المقطع: "لحظة غضب! كل شخص
يمر بلحظات غضب! هذا تهديد فحسب، لم أقتلها، وأنت خير شاهد على
ذلك يا قاتل."

أمسك فارس بفكها: "لست الشخص المناسب لتلعب معي يا
آنسة!" دفعت تقى يده بعنف: "لن يشرفني أن ألعب مع أمثالك!"

تنهد فارس بعمق هادئ عكس حاله قبل قليل: "شهادتك ستكون بلا دليل قاطع، لكن... " ثم وضع يده تحت فكه: "ماذا لو عرضت هذا الفيديو على المحقق؟ ألن تتغير مجرى المحاكمة والحكم؟"

تقى باشمئزاز: "ألا تحجل من نفسك قليلا! تعرف أنك مرتكب الجريمة وتهدد الآخرين كذلك! عزيزي، أنا من يمكنه أن يهدد، لا أنت!"
ابتسم فارس وكأنه لم يسمع حديثها: "لم تجيبي سؤالي. دعيني أجب عنه بنفسي أو.. لم أنا؟ مثلما يقول المثل "اسأل مجرب ولا تسأل طبيب"، لنطلع المحقق عليه."

تقى بعدما أطبقت على أسنانها: "ما الذي تريد الوصول إليه؟"
فارس وهو يرتب أدويتها: "رائع! بدأت تفهميني. يستطيع المحامي الخاص بي أن يخفف الحكم إلى سجن مؤبد إن لم تشهدني."
- "والمطلوب مني؟"

- "خلتك ذكية! بالطبع أن لا تشهدني، وكما أعتقد هذا لن يفرق معك، فقد ألفت الصمت." تقى وألف فكرة تضاربت بعقلها: "حسنا... أنا.. موافقة."

أسئلة بلا إجابات

دخل المحقق إلياس: "انتهى وقت زيارتك سيد فارس." فارس:
 "لم أكن أطمع في غير هذه المدة."
 بعد خروج فارس فحصت الطبيبة تقى، قائلة: "أخبار سارة يا آنسة!
 أنتِ لا تحتاجين المستشفى بعد الآن."
 إلياس بعدما فرك كلتا يديه بالأخرى: "خبر جيد يناسب الخبر الذي
 سأعلن عنه الآن، آنسة تسنيم أنتِ رهن الاعتقال."
 "ما تهمني!" قالتها تقى للمحقق وهو يقيد يديها، أجابها: "ستعرفين
 في مركز الشرطة."
 في مركز الشرطة...
 حركت كرسيها ذهابًا وإيابًا عدة مرات، عادت إلى النقطة ذاتها
 وقالت بابتسامة امتعاض: "لكنني لن أتحدث حتى تأتي تقى!" إلياس بعدما
 عض أسنانه غضبًا: "تعبت من قولي إن تقى ميتة! ميتة! أتفهمين!"

بادلت تقى المحقق غضبه: "أما أنا فتعبت وأنا أقول لك إنه لا مشكلة في الأمر! دعها تأتي! لم أنت عنصري لا تسمح للموتى بدخول مكتبك!"

دفع إلياس مقعده حتى سقط على الأرض: "لا تختبري صبري! هناك أمر صحيح من اثنين، إما أنك تمثلين الجنون أو أنك مجنونة حقًا وهو الأرجح!"

وضعت تقى يدها أسفل ذقنها تفكر: "ألا يوجد اختيار ثالث أو مساعدة؟ صراحة السؤال صعب جدًا."

أوماً إلياس برأسه: "بالطبع يوجد اختيار ثالث! السجن المؤبد وهذا الأفضل لأمثالك!" تقى: "لم يعجبني، أفضل أن أكون مجنونة في عالمكم المجنون على أن أصبح عاقلة في عالم المجانين."

إلياس: "أنت متناقضة!" بحركة ظاهرة لإلياس فقط -رغم عدم وجود غيره في المكتب- أشارت تقى لأعلى.

عقد إلياس حاجبيه مطالبًا بتفسير لحركتها، غطت تقى فمها تقول بصوت خفيف: "المكتب مراقب، لن أقول الأمور المهمة، جاري فيما أفعل."

إلياس بابتسامة: "بالطبع سأفعل!" ثم ضغط على زر بعدها دخل ضابطان فأمرهما: "خذوا هذه المجنونة إلى زنزانة انفرادية، لا أريد للعدوى أن تنتشر؛ فيزداد المجانين!"

"أريد ورقة وقلماً!" قالتها تقى مئة وخمسين مرة بالضبط منذ دخولها سجنها: "أريد ورقة وقلماً!"... مئة وستين مرة.

رمى عليها الضابط المنزعج مطلبها: "فقط اصمت!" التقتت تقى الورقة والقلم بسرور: "لن تسمع لي صوتاً."

بدأت تكتب كأنها مرتها الأخيرة، دموعها التي اشتاقت لحدها تساقطت، يدها تحاول مجازاة دماغها بسرعة تدفق الكلمات، حتى الحبر قام بوظيفته وترك أثره على صفحة الكتابة والصفحة التي تليها.

كتبت: أيوجد أصعب مما أفعله؟ أقوم بما أعرف تمام المعرفة أنه خاطئ وسيأخذني إلى الهاوية لكنني أفعله لأنه ببساطة لا مهرب منه! أنا في طريق يأخذني إلى مكانين إما الألم والموت أو الألم والحياة!

من أنا؟ سؤال فقدت القدرة عن إجابته منذ زمن طويل، طويل جداً، في هذه الرحلة الصعبة فقدت الكثير، فقدت قدمي، حريتي، مكاني، حلمي، وقريباً ربما حياتي! لم أنا!

تقى! هل تنعمين بالسلام؟ أتذكر وجهك آخر مرة رأيتك فيها، لم
أنس حرارة آخر أنفاسك بين يديّ عندما طلبت مني أن أحتفظ بذلك الأمر
سرّاً، لم يا تقى! أردت رد ما فعلته بالمثل!

تساءلت ذات مرة ما أفسى لحظة في حياتي، كنت أحسبها يوماً خيانة
أقاربي لي، لكن لا! ليست هي! وليست يوم طردي من دار النشر! وبالتأكيد
ليست يوم حرق كتبي أمام عيني، وليست لحظة إفلاسي ولا إصابتي...،
اللحظة التي أعيشها الآن أفسى من لحظة موتك أمام عيني!

مطر الحقائق

اتكأ إلياس على قضبان السجن: "إذن؟ أليس لديك ما تقولين؟ فليكن، لن نخرجك حتى تقولي كل شيء، كل شيء بلا استثناء."
تقى من غير أن تتوقف عن الكتابة: "أكثر من يتضرر بسبب وجودي في السجن هو أنت وقضيتك، لذا فافعل ما أنت فاعله فقد خسرت كل ما يمكن خسارته."

إلياس بنبرة تميل إلى السخرية: "تهديني؟" تقى بهدوء: "سمِّه ما تريد." تزامن خروج إلياس مع دخول المحامي.
المحامي: "قضيتك حلُّها بسيط! لم لا تتحدثين عن كل الأمور، وتنتهين المسألة؟" تقى ببرود من غير أن تنظر له: "أنا لم أطلب محامياً عني."
- "أحاول مساعدتك وهذا جزائي!" تقى ببرود أشد وهي تشير إلى باب الخروج: "لا أحتاج مساعدتك."

- "أنا هنا لأن عميتك طلبت مني الدفاع عنك، ولأجلها ما زلت هنا رغم تجاوزاتك، على الأقل احترميني لأنني مراسلها!"
تقى بابتسامة لا تفسر: "آسفة! آسفة جداً. لو كنت أعلم أنك من طرف عميتي لطردتك بشكل أوقع من هذا! أترجاك أن توصل لعمتي أنني

لا أحتاج لأيّ مساعدة خصوصًا منها وأن تدع تمثيل الطيبة جانبًا؛ لأنه لا يناسبها فقد رأيت حقيقتها بالفعل! أيضًا لو أردت محاميًا عني لوكلته بنفسه".

المحامي وهو يخرج غاضبًا: "وقحة!" تقى بصوت عالٍ حتى يسمعها: "أعتر بهذه الصفة إن كانت تأتي من قبلكم."

ما إن تأكدت تقى من خلو المكان حتى قالت: "يا إلهي ألهمني الصبر في محتتي هذه لكي لا أفقد عقلي إن لم أكن قد فقدته بالفعل!" بعد دقائق: "نوح! ما الذي جلبك هنا! بأيّ صفة! وصل بك الأمر أن تلاحقني في السجن! ألن أسلم منك!"

نوح بابتسامته المستفزة المعتادة: "بأيّ صفة؟ سؤال جميل! بصفتي أقابل الشاهد الوحيد على جريمة قتل زوجتي."

عقدت تقى حاجبيها: "زوجة؟ أيّ زوجة!" تقدم لها نوح بسرعة ولولا قضبان السجن لكانت الآن في خبر كان: "أيّ زوجة! زوجتي تقى التي أحرقت قلبي بموتها!"

فتحت تقى فاهها وثبتت يدها على جبينها: "ت.. تق.. ت.... تقى! زوج... زوجتك! هذا... هذا... الآن فهمت!"

ضحكات عالية...!

لأن نوحًا لم يبك منذ زمن، فقد انهمرت عيناه بالدموع أمطاراً تملأ البحر بوهجها وحرقتها، في خضم بكائه قال: "اسمها الطاهر لا تنطقه على لسانك! لن تكوني تقى أبداً أنتِ تسنيم فقط تسنيم!" صرخ: "سمعتني! أنتِ تسنيم... تسنيم... تسنيم...!"

تقى والكلمات تصارعها: "أنا لم أعلم..." قاطعها نوح بقسوة: "بل تعلمين! أنتِ أكثر من يعلم!" ثم قال بابتسامة لا تناسب حاله قبل قليل: "صحيح كيف نسيت! عليّ أن أبارك لك!" قبل أن يدع لها المجال للحديث قال: "ما تريدانه تحقق!"

تقى من غير أن تقدر على تجميع الحديث: "نريده!
من تقصد!"

نوح بحسرة: "ليت أن هذه القضبان لم تكن أمامي! لكنت حقاً شرحت لك ما أقصده!" تقى بضياح شديد: "أنا لا أفهمك!"
نوح: "لقد سمعت محادثتك مع فارس! وهذا أثبت لي توقعاتي، إنك مشتركة معه في الجريمة! أمهليني أسبوعاً لا أكثر لأجمع الأدلة وأمنحك إقامة مجانية لا محدودة أنتِ وفارس في السجن! تهانينا مجدداً لفارس لن يُعدم من غير شهادتك وقد نال جزاءه الذي سينالك قريباً!"

مكاشفة

- "امم... كيف أقول لك...! أنت تفهم كل الأمور بشكل خاطئ تمامًا! عليك أن تسمعني!"

- "لم أفهم الأمور بشكل صحيح كما فهمتها اليوم."
تقى: "أنا لا أنكر قولي لفارس إنني لن أشهد!" نوح بنصف ابتسامة من غير أن يواجهها: "أيوجد كلام بعد هذا؟ لقد اعترفتِ انتهى الأمر، حان وقت تحقيق وعدي لك، عليّ أن أخرج بسرعة فعين الشرطة تراقبني تريد ربع دليل لتزج بي في السجن، لكن لا تقلقي لن أسمح لهم بسجني حتى أتأكد أنك في الزنزانة المجاورة بإقامة غير محدودة."

تقى: "هل تساءلت يوما ما الدافع وراء قتل فارس لتقى؟" توقف نوح عن تقدمه إلى باب الخروج، أدار رأسه الذي احمرَّ ليويلها كل اهتمامه.
أكملت تقى: "لأنها زوجتك من حقك أن تعلم..." بتردد شديد وهي تنظر للأسفل لعبةً بأصابع يدها: "الأمر يتعلق بـ... بالخيانة." حيث همست في آخر كلمة.

عقد نوح حاجبيه، بهدوء ما قبل العاصفة قال: "أكمل! ماذا تعنين بالخيانة!"

تقى: "إن تقى... هي... إنها... فارس." كنمر هائج توجه نوح إلى قضبان الزنزانة يهزها وقد برزت عروقه، صرخ بصوت تكرر آلاف المرات في أذن تقى: "لا تختبري صبري! تحدثي بوضوح!"

أطبقت تقى عينيها تكلمت بسرعة: "هناك من خطط لكل شيء." ارتفعت وتيرة أنفاس نوح فوجّه بصره يمينا وشمالا قد كان ما سمعه كافيًا جدًّا له، تراجع خطوتين، تضاعفت لأربع، حتى ركض إلى باب الخروج. عضت تقى على شفتيها، تخللت أصابعها بين شعرها تشده، دموعها أضربت عن السقوط من اليوم الذي تبنت فيه هذه الخطة، ضميرها أفيق أخيرًا...، فما لبثت تحدث ذاتها... أنتِ تفعلين الشيء الصحيح بطريقة خاطئة... خاطئة جدًّا، لو تتركينه على حاله أفضل مما تقومين به!

تحركت تقى بصوت مميز، صوت صرير عجلات كرسيها المتحرك كم تمت أن تقصر المسافة إلى المرأة! -زيز زيز زيز- شاهدت انعكاس صورتها، بيد مرتجفة تلمست وجهها، ابتسمت ثم عبست في الوقت ذاته، خاطبت نفسها بهدوء: "لم اخترت هذا الطريق؟" بصراخ وكأنها تشاهد انعكاسها على شخص آخر: "لم اخترت تدمير نفسك! ألم تفكري أن هذا الوجه

يستحق الابتسامة التي سلبتها منه! أين اختفت ملايين الوعود لتحقيق حلمك! أأنت التي قلت إنك ستحققينه حتى لو كان المانع قلبك!"
بعثرت كل الذي أمامها دوى المكان بصوتها: "حمقاء!"

الصندوق الأسود

بوجه طابق الأموات بشحوبه، حرّكت تقى رأسها للخلف تنظر الفراغ: "تقى لم أنسَ صوت ارتطام يدك بالأرض عندما استسلم قلبك! أرجوكِ سامحيني كنتِ طيبة لا تستحقين، أنا مضطرة لفعل ما أفعله، كما أن مصلحة الحي تفضّل على الميت، أعلم أنني أضرتُ نوحًا بشكل أو بآخر، غير أنه يستحق، آسفة لم أستطع التكفير عن الذنب الذي فعلته بك."

أخيرًا، وُجد في الزنزانة غير صوت تقى، قال الضابط: "آنسة تسنيم واصلكِ بريد." سلمّها الطرد، ثم غادر.

"شيء لا يحدث كل يوم." قالتها تقى بسخرية وهي تفتح الصندوق، تسللت إلى أنفها رائحة ليست غريبة: "تذكري! تذكري! أين شممتِ هذه الرائحة من قبل!" أوقعت الصندوق من يدها صارخة: "رائحة الموت!"

حوى الطرد ظرفان، التقطت أحدهما، ترددت قبل أن تهّم أخيرًا بفتحه، بعد قراءة المظروف اضطرت أن تفتح عينيها وتغلقها أكثر من مرة

لتصدق محتواه! فقد كُتِبَ بين جنبيه موافقة من دار النشر على نشر روايتها
(معاناة حلم) لكن لسوء حظها... يشترط حضورها غدًا لتوقيع العقد!
هي الآن بين أصعب قرارين في حياتها، هل تتخلى عن خطتها لتحقيق
العدل، التي تعلم في قرارة نفسها أن نهايتها سعيدة لكل أبطالها إلّاها؟
أو تختار تحقيق حلمها والتمتع بحياتها، والنهاية ستكون سيئة بالنسبة
إلى الجميع إلّا هي؟ ماذا لو جربت شعور الأنانية مرة واحدة على الأقل؟
الظرف الآخر الذي حواه الطرد كأنه يصرخ ألا تفتحيه، ارتعدت
يذاها تخرج الرسالة، ازدادت رائحة الموت، ليس إلا جملة مكتوبة -بلون
الدم- بالخط العريض: **النهاية قريبة، موتك بشع...**

خيال الصبر

حركت ظهرها للأمام والخلف، دموعها لم تتخل عن إصراها: "موتي بشع، موتي بشع! إني أستحق، إني أستحق!"

هزّت تقى قضبان سجنها، ولو كانت من خشب لتحطمت بين يديها الآن: "أخرجوني من هنا حالا! لا أريد الموت في هذه الزنزانة! أخرجوني!"
جاء إلياس على صوت صراخها: "أنتِ بالفعل تملكين مفتاح الخروج." تقى بيأس: "ألا تفهم! لا أستطيع التحدث!" إلياس بإصرار: "لم لا!"

تقى بغموض: "الموضوع معقد!" إلياس: "وأنا أريد الاستماع." تقى وهي لا تنظر لوجهه: "اسأل تقى" إلياس مغادرًا بخطوات واسعة: "سئمت منك ومن جنونك."

تقى: "أنا مهددة بالقتل في سجنك ما الذي ستفعله حيال ذلك!"
إلياس لم يلتفت لها البتة.

رفعت تقى بصرها إلى أعلى: "يا إلهي كل الذي أريده تحقيق حلمي
 أهذا كثير! كم أتمنى لو حُذف ذلك اليوم من حياتي! يا ليتني لم أقابل تقى ولم
 أكن معها في آخر لحظاتها لتوصيني بالأمور السخيفة التي قالتها! أمني أن
 أنام وأستيقظ في حياة جديدة خالية تماما من كل هذه الكوابيس!"
 أمسكت بالقلم من جديد، لم تنظر إلى الورقة وهي تخطُ هذه الحروف
 "يبدو أنني سأوظفُ قريباً! أيامي معدودة! لا أملك أيّ فكرة عن الشخص
 الذي يريد قتلي، كم أتمنى على الأقل ثغرة لأنقذ نفسي من براثن أفعالي!"
 صرخ الضابط ليحطم عزلتها: "حان وقت علاجك الطبيعي في
 المستشفى."

خاطبت تقى نفسها مجرّجة إلى الخارج: "هذا يعني حرية نسبية!
 سأستغل هذا بالتأكيد!"

خاب أمل تقى فالمستشفى جزء من السجن، حملت أكوام اليأس وهي
 تجيب عن أسئلة الطبيب: "لا أشعر بأيّ ألم في هذه المنطقة، لكنني أشعر بألم
 كبير هنا!" وأشارت إلى قلبها.

الطبيب عاقداً حاجبيه: "أتعانين من المشاكل القلبية؟" تقى بتشتت:
 "لدرجة الموت!" الطبيب وهو يكتب: "هذا جديد، وغير موجود في ملفك
 الطبي."

تقى بنصف ابتسامة: "مشاكلي ليست طبية لتكتب، مشاكلي نفسية أغلبها أنا من سببتها لروحي!"

الطبيب: "لست طبيباً نفسياً، لكن إن كنتِ الداء فأنتِ الدواء. فلنعد إلى موضوعنا، أريد منك القيام بهذه الحركات مع المريضة."
حاولت تقى تقليد المريضة وقطرات العرق تشكل على جبينها أجمل عقد من اللؤلؤ، شاهد على ما عانته هذه الفتاة وما زالت تكابده! لكن...
ألن ينفد مخزون تحملها قريباً!

دون مقدمات أسقطت تقى نفسها عمداً على رُكبتها، واستندت إلى مرفقيها وهي تحرك رأسها للاتجاهين، فَمُها مطبق لعلمه أنها ستقول ما لا يحمد عقباه، صدرها يرتفع ويهبط عازفاً سيمفونية حزن ملائمة تماماً للمشهد، اهتزت يداها قبل أن تستقر أخيراً على أذنيها، بالكاد انتصرت الكلمات لتخرج: "هذه ليست حياتي! سأفرغ مكنون صدري، فسلامٌ على دنيا تسلبني دنياي!"

ألعاب

الطبيب: "هل أنت بخير؟" تقى وهي لم تغير وضعها: "أنا والخير قد انقطعت بيننا أواصر العلاقات منذ زمن بعيد." فركت وجهها، أكملت ضامة كلتا يديها إلى الأخرى: "إني أترجأك أن تنادي المحقق، أرجوك!"

- "لكنك لم تكلمي علاجك!"

- "أي علاج في حالتي! أنا أموت داخلياً كل لحظة، فما يجدي دواؤك!"

خرج الطبيب وبعد فترة دخل إلياس، ابتسم بهدوء قبل أن يجلس واضعاً قدمًا على قدم بجانب تقى المرمية على الأرض، بنبرة شئمة واضحة:

"قولي كل ما لديك ما عدا ما قلته لنوح فقد سمعته بطريقتي الخاصة."

تحدثت تقى مُوجهةً بصرها لبقعة واحدة، وكأن المشاعر سقطت منها تمامًا: "كما تصوّر الكل أنا لست شاهدة عادية." عند هذه الجملة بالذات اتسعت ابتسامة إلياس من جهة واحدة، ورفع حاجبًا، كأنه يعرف كلامها هذا.

اعتدلت تقى لتستلقي على جانبها وتضم جسدها كجنين في بطن أمه:
 "قبل أربع سنوات..." تنهدت بصوت عالٍ ناسيةً الزمان والمكان وهي
 تضع يدها أسفل ذقنها: "كنت أتشاجر مع عمتي كالعادة في المقهى، فتاة
 يغار القمر من جمالها، تحتلس النظر إلينا من لحظة لأخرى، كان يجلس معها
 شاب يعطينا ظهره في ذلك الحين لم أعرفه لكن الآن أعتقد أنه فارس، عندما
 غادرت عمتي، جاءت لتجلس معي! ألف فكرة جالت في عقلي... ربتت
 على يديّ بحنان لم تعطه لي والدتي، ابتسمت لي حتى برزت أسنانها والتي
 تضاهي اللؤلؤ بيضاء، قالت لي بصوت أشبه بنوتة موسيقية: اسمي تسنيم!"
 انقلب حال إلياس وهو يقف: "اسمك الحقيقي ليس تسنيم!"
 وضعت تقى يدها على بطنها تضحك للحد الذي لا ضحك بعده، قالت:
 "جميعكم حقى! لا أحد عرفني على حقيقتي، قد استطعت خداع الجميع ولم
 يكتشفني أحد!" ابتسمت ابتسامة مخيفة جدًا: "أنا كالهرباء أغير لوني
 ليناسب مصالحي!"

ابتلع إلياس ريقه قال وهو يضيق عينيه متراجعا خطوات احترازا:

"من أنت!"

رفعت تقى عدستي عينيها لأعلى وهي تلعب بأصابعها: "لست تسنيم ولا تقى، فمن أكون؟" أغلقت عينيها ببطء شديد ليزيد من رعب المشهد، ثم أطبقت بأسنانها على شفتيها.

تأكَّد إلياس من وجود سلاحه في جيبه: "أنتِ تلعبين بالنار كائناً من تكونين!" تشكل فم تقى بشكل دائرة، أغلقتها بيدها قبل أن تشهق: "ألا تعلم أنني أهوى اللعب بالنار! ولولا هذه الألعاب الممتعة لمُت من الملل منذ زمن!"

وضع إلياس يده على مقبض الباب: "الأمر أكبر من شاهدة لا تشهد؟" أجابت تقى بغير اهتمام وهي تُمسد أظافرها: "هو كذلك."

إلياس: "ما يثير جنوني شخصياتك المتعددة! تارة تكونين ألطف ما وُجد على الأرض، وتارة أخرى تصرفاتك تفسر معنى الشر بحذايره! ارتفعت زاوية فم تقى: "علمتني الحياة أن أجري مع التيار."

إلياس: "لمَ أصدقك؟" تقى بنظرة لا تَمُتُ لإنسان: "لأنه ليس خيارك، أنت مجبر على تصديقي، كما أن الكلمة لا تخرج من فمي إلا بعد آلاف من التحقيقات الداخلية، فيكون لها جُملة أدلة تثبتها."

القاسم المشترك

صرخ إلياس: "أيها الحراس! أعيّدوا هذه المختلة إلى زنانتها!"
 "للأسف لم تتوقع بشكل صحيح! اسمي ليس مختلة." قالتها تقى
 بابتسامة باردة وهم يدفعون كرسيها إلى محبسها.

فور خلوتها بنفسها طاب لضميرها أن يتحدث: "لا تخدعي نفسك
 ... لست مضطرة لفعل السوء حتى تحصدي الخير! فلست كذلك! عميت
 بصيرتك، وطُمس تفكيرك، والسبب؟ ماضٍ لا تريد أن تتركه! أكان يجب
 كشف سرٍّ أخرى به أن ينام؟ بأفعالك تدمرين ما بقي لك من مستقبل!"
 تقى بصوت بارد: "إنني مجبرة." صرخ ضميرها: "لست كذلك! أنتِ
 شخص مخيف تغيّر تمامًا عن أربع سنواتٍ مضت! تحاولين ظلم العالم كما
 ظلمك أحبابك! أنتِ لا تحاولين الإصلاح فمبتغاك الإفساد! مهما ادعيت
 فلن يتغير الواقع؛ إنها الحقيقة المرة!"

صرخ الحارس فجفلت تقى: "لديك زيارة." ثم اصطحبها إلى قاعة
 الزيارات.

ما إن وصلت، تقى: "أعدني إلى حيث جئت بي!" المرأة وهي تحرص على تغطية وجهها: "لا تكوني قاسية عليّ يا ابنة أخي!"

تلفتت تقى يمينا ويسارا: "أئي ابنة أخ؟ اجعليني أقابلها!" حاولت تقى مهاجمة المرأة الجالسة أمامها لكن الحارس منعها في آخر لحظة، تحدثت من تحت أسنانها: "أنتِ أساس كل شيء في حياتي! لا أريد أيّ شيء منك! فقط دعيني وشأني!"

عمة تقى (نوران): "يا تات...." رفعت تقى إصبعها وقد برزت عروقها: "إياك!" أمسكت تقى الطاولة قلبتها بصوت جذب كل الأنظار نحوها، تخلّت عيناها عن إضرابها وأسقطت شلالات من الدموع الساخنة، وافترقت شفتاها: "لن أسمح لك مجدداً!" ظلت تقى تكرر هذه الجملة طيلة الطريق إلى زنزانتها.

كان في استقبالها إلياس المبتسم بطريقة لا تنبئ عن خير! "يبدو أن القاسم المشترك بين الشخصيات الثلاث كره العمة." لا ردة فعل من قبل تقى، استطرد وهو يدور حولها بحركة استفزازية لأقصى درجة: "أهو الكره المتبادل بين الطرفين؟ أم من طرف واحد؟" أمسك بفكها: "هذا فقط تحذير صغير مني حتى لا تلعب معي! أتوقع منك غداً قول كل شيء لي بلا

استثناء، وإلا! أنت أعلم بما أستطيع فعله! إن اضطرت سأنبش بكل ماضيك بشكل -صدقيني- لن يعجبك."

بلعت تقى ريقها ببطء: "لم أفعل كل ما فعلته لتكون أنت وأمثالك العقبة في طريقي! فليكن بمعلوماتك، أنا أنفذ بطريقة مباشرة لا تخطر على البال، فاحذر مني ألف مرة قبل قول أي شيء لن تستطيع تحمل نتائجه أبداً!"

إلياس يرمقها بطرف عينيه: "أحقاً؟ انظري إليّ أنا أرتعد خوفاً من تحذيرك المرعب!" أمسك إلياس بكرسيها يحركه يميناً وشمالاً، أكمل: "ماذا يمكنك أن تفعلي يا قطتي الشرسة؟"

"لا تستهن بالقطط." قالتها تقى وهي تنزل رأسها بحيث أخفت كل ملامحها، ثم رفعتة بحركة مفاجئة وبدأت بشدخ وجه إلياس وعضه بخشونة شديدة، استطردت: "هذا ما تفعله القطط الشرسة، كن متيقظاً فالقطط أحياناً تكون جائعة ولا تستطيع التحكم في نفسها، حذارِ أيها البطل المحقق!"

ابتعد عنها إلياس وبعد أن فرك وجهه ينظفه من بقايا لعابها، ظهر وجهه الأشبه بقطرة دم مغلّية، قائلاً بنبرة مخيفة: "جنت على نفسها براقش!" ثم غادر بخطوات تمثل كل واحدة منها تهديداً لا شك فيه.

أهلاً به

تسللت يد تقى اليمنى بحركة لا إرادية لتشد شعرها، أما اليد اليسرى فقد ارتفعت لتحلّ ضيفة في فمها تقلّم أظافرهما بتصرف ينمُّ عن الحيرة الشديدة. أغمضت عينيها تريحها، أما عقلها فقد غرق في أعماق الفكر حتى يجد الحل الأمثل لأخطاء اقترفتها بإرادتها جعلت الأمور أكثر تعقيداً.

رقبة تقى تنحني وتعتدل لتقاوم النعاس، فقد تذكرت عقْدَ نشر روايتها! فقد بقي ساعات قليلة على بدء يوم جديد! لا! "أنا لا أستحق يوماً آخر هنا! لا سيما أن المذنب الحقيقي حرٌّ طليق! أنا أولى منه بتلك الحرية! حتى حرية لساني مقيدة!"

تحركت بمقعدها للأمام والخلف مُفكرة، حتى استوقفها صوت دعس الكرسي على شيء مميز، عندما استكشفت الأمر عرفت أنها الرسالة المشؤومة التي تهدد بقتلها.

أرادت طرحها أرضًا - كما يناسبها - قبل أن يلفت انتباهها التوقيع في نهايتها! تمتت: "ليس غريبًا عليّ." طرقت على رأسها: "أين رأيته من قبل؟"

عادت بذاكرتها للوراء تحديدًا لأربع سنوات مضت، تذكرت! الفتاة الغربية الجميلة تسنيم! أعطتها بطاقة عنوانها وقد كان يحمل التوقيع المخيف نفسه! هي لم تلتق بهذه الفتاة إلا المرة الوحيدة في المقهى ومازالت عالقة في ذاكرتها.

تساءلت تقى وهي تضم رأسها بين يديها وشعرها تكفل بتغطية كافة الملامح: "ما علاقة الأمرين! ما الذي دهاني لا أستطيع التفكير!"

سمعت تقى صوت جلبة قريية من البوابة الرئيسية، فتقدمت لتستكشف الأمر أكثر، عندها ارتفعت زاويتا فمها بابتسامة مزيج من الرضا والسخرية، قالت بنبرة صوت جاهدت أن تكون مستفزة: "أهلا وسهلا بك في منزلك الجديد، الذي سيكون آخر محطة لك قبل موتك!"

التزم نوح الصمت طيلة الطريق لزنزاناته المجاورة لتقى التي كانت تراقب أنفاسه المتصاعدة، قال بنبرة هادئة لا تلائم حاله: "منذ متى تعرفين؟"

قاطعته متعاطفة ولسان حالها يُخاطبها نَفْسُها: "لا تنبش في تفاصيل الماضي، دعه حيث كان".

كرر نوح السؤال بإصرار حاد، فما كان من تقى إلا اللعب بأصابعها وهي تجيب بهمس: "مدة كفيلة أن أعرف بها كل الحقيقة بلا استثناء." نوح بإرهاق بادياً على وجهه: "والحقيقة هي؟" السجينة تعض شفتها: "كفاكم هذا السؤال القاتل! لقد عاهدت الكثيرين ألا أبوح بشيء ولو وصل الحال إلى قتلي!"

الضابط لتقى: "لقد تم الإفراج المشروط عنك، لذا ستكونين مراقبة ويمنع سفرك حتى تنتهي التحقيقات معك، وتثبت براءتك." بلعت تقى ريقها، وهي تعلم تمام المعرفة أن إلياس لا ينوي خيراً أبداً بإخراجها من سجنها.

وقف إلياس بجوار الباب يمنعها من الحرية، كتّف ذراعيه وبوجه تجرّدت منه الملامح سأل: "إلى أين يا قطة؟"

تنهدت تقى وهي تقلب عينيها: "أنت أكثر من يعلم إلى أين أنا ذاهبة! ألم تطلق سراحني؟" تسللت نصف ابتسامة إلى وجه إلياس: "بشروط! أولها إجابتك عن سُؤالي."

تقى باقتضاب: "أَيُّ سؤَالٍ تعني؟" اقترب إلياس من وجهها في حركة مسيطرة: "لَمْ غَيرتِ اسمكِ أَكْثَر من مرة ، ثم أَصررت على اسم تقى بالذات؟"

كَشَرَتْ تقى عن أسنانها وابتضت يداها جرّاء إطباقهما على مقعدها المتحرك، دفعت إلياس بسرعة حتى خرجت وهو بدوره لم يمنعها، تقول: "لا يحق لأحد أن يعرف!"

هاربة

دخلت منزلها المتواضع -جداً- فقاعدة الأريكة القديمة قد استبدلت بعلب فاصولياء معدنية، السجادة سكب عليها ما يكفي حتى صُبغت لوناً جديداً، الأضواء تتراقص بين خفوت وسطوع؛ كأنها ترحب بالحاضرين المتمثلين فيها وحدها! الباب بلا قفل... بلا مقبض... حتى اللص يُحجم عن منزلها.

شهقت بصوت يسمعه القاضي والداني تخرج حقيبة ضخمة بالية تضع فيها كل ما يمكن وضعه، ألقت قطعة في غضب: "انتصر عليّ! انتصر عليّ!..."

في خضم الأمور فقدت هاتفها، ولم يلفتها إليه سوى الضوء الصادر منه، معلناً عن تراكم الرسائل.

لم تستطع مقاومة فضولها رغم معرفتها أن الوقت ليس في صالحها، فتحت أولها، فكانت قبل شهر أي فترة غيوبتها، "عزيزتي إنني قلقة عليك، لشد ما أفجعني خبر السفينة والطائرة، أرجو أنك بخير، أنتظر ردك؛ فلدي نبأ مهم للغاية" وباقي الرسائل منها تسأل عن حالها.

الهاتف مراقب، ومن الحماقة إجراء المكالمات المهمة عبره الآن، لذا أغلقته بهدوء مقررًا أن تتركه هنا مع ذكريات أخرى كثيرة...

سمعت طرقات... لا تدري أكانت على الباب أم على قبلها... من الطارق! كيف عرف بعودتها؟ أهو شخص من الماضي؟ أم هو الماضي بعينه! من فتحة الباب الضيقة ظهرت سما صديقتها، صاحبة الرسالة، تطرقه بلا كلل، لم تحاول تقى فتحه رغم علمها أن سما لو دفعته بهدوء لفتّح، فقد قررت قطع علاقتها بالماضي وما فيه، لا مناص سوى الهروب!

استسلمت سما مغادرة في خيبة أمل: "كل يوم أطرق الباب لربما عدت إلى المنزل، وكل يوم أكتشف أنك لم تعودى. أريد أن أخبرك أن حياتنا في خطر!"

فتحت تقى الباب على مصراعيه في لهفة: "ماذا تعنين؟" ودونها تردد ألقت سما نفسها في حِضن تقى بشوق، لكن الأخيرة لم تبادلها لهفتها هذه، بل دفعتها بنبرة جادة: "ماذا تقصدين؟"

حشرت سما قبل أن تنطق: "إن..."

تقى في توجس: "الحديث هنا خطر، ادخلي..."

لاحظت سما فوضى الأغراض حول الحقيبة، هزت رأسها: "أتنين

الهروب مجددًا؟"

- "ليس شأنك! أكمل حديثك فقط!"

- "ما هذه الفظاظ! لقد تغيرت كثيرًا! لولا الشكل ما عرفتكَ!"

ثم وقع بصرها على قدميها وكأنها لاحظت عجزها تَوًّا:

"ماذا أصابك لتجلسي على مقعد متحرك؟"

أغلقت تقى أذنيها: "لا تتدخل في شؤوني! أجيبيني، أو غادري... لا

أتحمل رؤية أحد من البشر بعد كل ما حدث."

سما: "رغم تجاوزاتك وعدم ترحيبك بي متناسية كل ما بيننا،

سأجيبك، عمتك منذ غيابك كانت تحدثني في أغلب الأحيان لتستقطب

مني أي معلومة عنك."

طرقت تقى يديها بحنق، دون أن تنظر إليها: "ثم؟ ما المهم؟"

بلعت سما ريقها وبدفعة واحدة قالت: "في آخر لقاء، أخبرتني أن

خروجك من السجن يصادف اليوم، وطلبت مني إخبارك أمرًا مهمًا لأنك

لن تستمعي إليها أبدًا، لقد قالت..."

قاطعتها تقى: "رائع، هي تعلم إذن أن كن أصغي إلى حديثها،

والأروع أن تعلمي أنني لن أستمع إليك كذلك، فقد جئت من طرفها." ثم

أشارت إلى الباب كعلامة صريحة لطردها سما.

عقدت سما حاجبيها: "لم!" ابتسمت نصف ابتسامة وبنبرة سخرية واضحة قالت تقى: "أتسألين؟ رغم أنني موقنة بعلمك السبب أجيبك، وبعيداً عن كون اتصالك بالعمة سبباً كافياً لقطع علاقتي بك" شكلت تقى يديها كعلامة تنصيب وأردفت: "عزيزتي ألم تكوني فخورة منذ قليل بسنوات الصداقة!" أكملت بحاجب مرفوع: "إذن ألم تكفك سنوات الصداقة لتعلمي أنني أكره اللف والدوران ولا سيما الكذب! أنتِ قبل قليل قلت إنكِ تزورين منزلي كل يوم وبالصدفة أنت هنا اليوم... الآن تقولين إن العمة أخبرتك بوجودي!"

لامست سما أنفها بسرعة: "إن الحديث مترابطان كأنهما واحد، دعك من مثل هذه التفاصيل الصغيرة!"

ابتسمت تقى ناظرة للنافذة: "التفاصيل الصغيرة تقودنا إلى الكبيرة." ثم هزت رأسها والتقطت حقيبتها متجهةً إلى باب الخروج تقول: "وداعاً للأبد لا تحاولي أنتِ أو غيرك لأي سبب كان التواصل معي."

وداعاً أيها الماضي

سما مشدوّهة: "تخرجين وما زلتُ هنا!"
 - "منزل كهذا لا يُسرق، قد تركته لك، ما عاد شيء يستحق التمسك به."

سما وهي تعض شفيتها: "أهي النهاية؟" أوقفت هذه الجملة تقى،
 قالت وهي تنزل رأسها: "كان يجب من البداية أن تتوقعي، فلستُ أطيل
 البقاء في مكان، أو بعلاقة."

سما بهدوء: "على الأقل ألا تريدين معرفة ما قالت عمتك؟" ابتعدت
 تقى أكثر فأكثر: "ما قالت في الماضي، أريد طوي صفحة الماضي تماماً بعيداً
 عن القيل والقال، سما صدقاً تعبت! لا تحاولي تغيير رأيي، لا تشعريني
 بتأنيب الضمير، دعيني أغادر فحسب! فأنت أكثر من عرفني."

سما تغالب دموعها: "الوداع صعب." تقى من غير أن تلتفت إليها:
 "السجن في الماضي أصعب وأصعب."

سما وقد انتصرت دموعها لتتشكل كلؤلؤ زادها جمالا فوق جمالها:
 "ليس الحل في ترك الجميع! بحق كل شيء ما دخلي! أنتِ صديقتي
 الوحيدة!"

لم يشكل حديث سما أيَّ فارق لتقى، فقد زادت من سرعة المقعد
 المتحرك لتعجل وداعاً ربما يكون نهاية البداية.

صرخت سما لتسمعها تقى: "عمتكِ تطلب السماح وتعلن ندمها الشديد
 عن كل ما حدث!" بادلتها تقى صراخاً بصراخ: "أخبريها أن السماح لا
 يطلب مني!" ثم ابتعدت عن الأنظار حتى اختفت تماماً...

يعج المكان بصوت عجل القطار على القضبان، أما السماء فقد تلوثت
 بدخان أسود لو كان للشمس عين لدمعت على هذا الحال، تحرك تقى عينيها
 في كل اتجاه، تارةً ترى شخصاً يجري ليلحق بقطاره، وتارةً يجذبها زوجان
 متخاصمان يشع الحب من عينيها الغاضبة، وتارةً تحديق في والدة متعبة
 تلاحق طفلها المشاغب، هناك من يأكل، وهناك من تشتري من البائع،
 وهذا فتى يبحث عن قطاره.

تقى تعلم أن القاسم المشترك بينها وبين كل الشخصيات التي أمامها،
 تلك الأحزان التي تغسلها ابتسامة، لكن... أيُّ عزيمة تلك التي بها
 يرسمون تلك الابتسامة على شفاههم المثقلة! ومهما كان، فلا تستطيع رسم

تلك الابتسامة على شفيتها ولو كانت مزيفة! فهي في حال لا تحسد عليه؛ فاتها موعد توقيع عقد روايتها...، وما زالت تُنمِّي ذاتها أن تستطيع السفر بهويتها المزيفة لتبدأ حياة جديدة كل أملها أن لا تضطر لبدء حياة غيرها.

في عدم اكتراث منها بالعالم الخارجي، يصطدم كرسيها الثائر كثورتها، برجل طويل القامة، أسمر الشعر، بشارب وذقن خفيفين، سقطت وسقطت معه أوراق كثيرة، لمحت بينها عقد نشر، كان في عجلة من أمره حيث ملم الأوراق دون أن يلاحظ وجودها، سمعت أنه قال لمحدثه في الهاتف: "إنني متأخر... لا بسببي! القطار تأخر ولتوي وصلت، كُفَّ عن معابتي قلت لك أعلم أننا أخبرنا الكاتبة بوقت توقيع العقد وهو أمس!" راود تقى شعور قوي أن الكاتبة المقصودة هي، أخيراً ستبتسم لها الدنيا...، لكن أيعقل!

ثم كان آخر ما سمعته من الرجل قبل أن يستقل سيارته: "نعم... نعم... قلت لي إن اسم روايتها... معاناة... حلم! أليس كذلك؟ سأكون في الدار في غضون دقائق."

لا تصدق أذن! نعم إنها هي! هي المقصودة! من غير تفكير استقلت أقرب سيارة أجرة، لتلقى حلماً طال انتظاره.

فخ

طلبت تقى من السائق ملاحقة سيارة الرجل، حتى وصلت إلى مركز الشرطة! قبل أن تستطيع استيعاب الأمر ظهر إلياس ليسحبها من السيارة ويطلب من السائق المغادرة.

"... ما الذ... الذي يحدث!! لم تقيدونني أنا حتى لا أستطيع الحراك!" قالتها تقى بعينين متسعيتين غير مصدقتين للرجال الذين يقيدونها في غرفة ذات ظلام دامس يتخللها شعاع صغير بالكاد يضيء موطئ نظرها. إلياس بنصف ابتسامة وهو يجلس أمامها: "الحياة ليست وردية." ثم التقط فنجانه محتسي قهوته ببرود قاتل، وبصوت مقزز؛ حتى فرغ أخيراً؛ فصاح بهدوء أكثر استفزازاً: "هاتوا المفاجأة." لتظهر سما بكدمات كرزية جديدة وملابس مشققة، فور وصولها خرت قواها؛ فسقطت مغشياً عليها.

تقى بنبرة أشد خشونة: "ما الذي يحدث!" إلياس ببرود وهو يزيل ذرة غبار عالقة على بذلته الفحمية اللامعة: "ما الذي تعتقدن أنه يحدث يا

قطتي؟ أحضرنا لكِ صديقتكِ، ألن نحصل على شكر؟" أكمل برفعة حاجب: "تعلمين ماذا؟ لا داعي، وجودكِ هو أكبر شكر."

بلعت تقى ريقها ومن غير أن تنظر لسماء قالت: "أنا لا أعرف هذه الفتاة لتنتعها بصديقتي! هلا فسرت لي ما يحدث!"

رفع إلياس كلا حاجبيه: "خلتكِ ذكية. قطتي أنا من أمر بإرسال ما هو متعلق بنشر روايتكِ، أردت في البداية الضغط عليكِ لتحدثني حتى تخرجي بأيّ طريقة من السجن قبل يوم توقيع العقد الكاذب، وعندما لم أنجح أخرجتكِ بنفسي وهنا نجحت، فقد عرفت صديقتكِ، تفاصيل صغيرة لكن مهمة عن ماضيكِ، والأهم من هذا كله اكتشفت حماقتكِ الشديدة، وعندما شعرت أنكِ قد قاربتي على الهروب أرسلت أحد رجالي لإحضاركِ لتؤكد لي اكتشافاتي بأنكِ ملكة السداجة."

تقى بنبرة يقين: "إذن أنت من أرسل التهديد بقتلي!"

إلياس وهو يزُم شفتيه: "للأسف لا، ولكن هذا لا يغيّر من حقيقة معرفتي بأمر التهديد قبلكِ، فلا شيء يخفى علي، وقریباً جداً سأعرف كل شيء عنك! فقد أعجبني تهديدك... ليت بإمكانني معرفة صاحبه لأشكره؛ قد أحسن صنعاً بما عجزتُ عنه! وها أنتِ هنا الآن، وثقي أنكِ في أمان ما دمتِ مع الشرطة والحق."



أطلقت سما آهات متألمة متلاحقة حتى أفيقت...

ألقي إلياس نظرة متفحصة عليها قبل أن يكمل: "المسكينة، ما أسوأ حظها لتكون صديقتك! هذه الفتاة لن تنجو إن لم تتحدثي بكل ما تعرفينه!" ما إن أنهى كلامه حتى توسعت عينا سما ورفعت رأسها؛ فقد أنستها الصدمة ألمها لحظات؛ هي تعلم أن تقى لن تتحدث معها كان السبب، في تلك الثانية دعت ربها أن يرحم روحها!

تقى بابتسامة باردة لا تناسب الموقف: "خطتك فاشلة! أنا لا أعرف هذه الفتاة!" سما بصوت ضعيف بالكاد يسمع: "أرجوك!" وجهت تقى بصرها صوب سما بوجه تجرّدت منه المشاعر قالت بنبرة كانت مثل السكاكين في قلب سما: "أنتِ من الماضي، وقد قطعت علاقتي بكل ما له علاقة بالماضي."

رمشت سما بعينيها أكثر من مرة لربما هي في كابوس! لكنه الواقع المرير، وعليها تقبله، قالت: "لو جرّعتُ السُّم لكان أهون عليّ مما سمعته." - "لا تمثلي دور المصدومة، أنتِ أكثر من عرفني."

عضت سما على شفثيها وهي تحرك رأسها يمينًا ويسارًا: "كنت أعرفك، الآن أنا أقل من عرفك، إن لم أكن لم أعرفك قط!"

قالت تقى وهي تتحاشى التواصل البصري المباشر مع سما: "هذا لا
يغير شيئاً، فلن أكشف أسرار ماضيّ لأجلكِ البتة."
سما وهي تصرُّ على أسنانها والغضب أعماها فلم تعد تستطيع التفرقة
بين الصواب والخطأ: "جيد لا تتحدثي! فما أعرفه كفيلاً أن يخرجني من هذه
المشكلة ويدخلكِ في مشاكل أكبر بكثير، قبل قليل تكتمت على أسراركِ
فماذا جنيْتُ؟ الضرب والألم والنكران!"
تقى بصوت مبحوح غير مصدق: "سما!" الأخيرة بحدة: "أنا لا
أعرفكِ!" فرك إلياس يديه مستمتعاً: "أمثال هذه الفتاة المجهولة لا
يستحقون توضيحاتكِ تحدثي وأنقذي نفسك."

كشف المستور

سما ترفع رأسها بكبرياء تغالب الألم الذي يفتك بها: "هذه الفتاة قد تجمعت فيها كل الأمراض النفسية!"

- "سما، أنت طيبة لا يناسبك ما تفعلينه! لا تفسدي براءتك!"
- "فقدتُ الطيبة عندما عرفتُك! ناسبني الذي أفعله بسببك! تبراّت كل البراءة!"

فتحت تقى فمها لكن الكلمات عصتها فأبت أن تخرج، أكملت سما بفك مقبوض: "أنت وحش يظن نفسه ملاكًا، ليس لها موقف محدد، لا تفهم نفسها، لا تملك أيّ شيء يربطها ليجبرها على الثبات."
تداركت تقى ما يمكن مداركته عندما قالت بعينين لامعتين تهددان بشلالات من الدموع: "أهكذا ترينني؟"

أطبقت سما فكيها: "هكذا أنتِ ترين نفسك!" ابتسمت تقى وعبت: "لن أعاتبك لقول مثل هذا الكلام، فأنت لم تعرفي البداية!"

قَرَّبَ إلياس وجهه من تقى قائلاً بفقدان صبر: "آه... وصلنا لمربط
الفرس... ما البداية؟ لئلا نظلمك!"

احمّرت عينا تقى بشكل مخيف، برزت عروقها وارتفع صدرها ثم
هبط كأن انفجاراً قد حدث في رئيتها، قالت بنبرة حادة جادة: "لا يحق
لأحد أن يعرف!"

صفقت سما: "واصلي... واصلي...! كلما حاولت معرفة ما خطبك
أجبتني الجواب نفسه، بأسلوبك هذا تخسرين كل من حولك!"
أمالت تقى رأسها لليمين، بصوت غير مهتم قالت: "لم أطلب
مساعدة أحد، ثم لا تتحدثي كأنك تريدين مساعدتي."

أومأت سما بعينيها: "كنت أريد لكنني عدلت." تقى ببرود وهي تمد
شفتيها: "جيد." إلياس: "حققت مطلب الفتاة المجهولة عندما غيّرت محور
الحديث!"

سما: "لم أسميتها المجهولة!" إلياس وهو يعبث بأصابعه: "إنها
صديقتك كما تدعين، وكما تعرفين براعتها في إخفاء هويتها!" سما بنصف
ابتسامة: "اسمها تقى." ضاق تنفس تقى وهي تصرخ تسد أذنها عن كل
مؤثر خارجي: "سما يكفي يكفي!" حيث كررت آخر كلمة عشرات
المرات.

تشكل حاجبا سما على شكل أمواج غاضبة وهي تقول: "لم يكفي
آنسة تقى؟ لم! دعيه يسمع لربما يساعدك!"

يدٌ مرتجفة استقرت بعناد تأبى أن تتزحزح عن أذن تقى والأخرى
حركت إصبعها يمينا ويسارا، قالت تقى بصوت تضامن مع باقي جسمها
وكان له نصيبٌ من الارتجاف: "أنتِ لا تساعديني أنتِ تدمريني!"
أردفت وهي تكز أسنانها: "توقفي!"

أنزلت سما رأسها تحاول كتم دموع ليس وقتها: "آسفة اليوم لن
أستمع إليك." ثم رفعته وبريق الإصرار يكتسح عينيها: "سيدي المحقق،
الفتاة التي أمامك لها شخصيات عدة."

وسط نحيب تقى قالت: "أترجأكِ يكفي! إذا كان ما تفعلينه الآن
هو انتقام لخيانتي لك، فأنا أقول أمام الجميع إنني مثلت الخيانة لتخرجني
من الأمر بسلام! أنتِ أفضل ذكرى بقيت لي من الماضي، لذا أردت ترككِ
قبل فتور علاقتنا وأفقد ما يسمى بالذكرى الجميلة! أرجوكِ لا تجعلي هذا
يحدث الآن!

وكان سما لم تسمعها عندما قالت: "تقى ليست شاهدة عادية، كان لها
يد كبيرة في مقتل من تظنونها تقى، التي أمامكم مولعة حد الجنون بتدمير

نوح، وعلى العكس تمامًا، فقد دمرت نفسها قبل تدميره. بل إنه لا يتذكرها،
يحسبها تسنيم!"

لولا القيود لسقطت تقى بسبب ارتجافها: "يكفي! يكفي!" إلیاس:
"صدقًا يا سما، لم أفهم كلامك؟"

شهقت تقى ومن يسمع مثل شهقتها يكاد يقسم إن رثيها تمزقتا منها،
قالت: "كل ما أريده تحقيق حلمي! لم تحرموني من أبسط حقوقي! ارحموني
يا عالم!" ما إن أنهت حديثها المختصر حتى مالت رقبتها تعلن غيابًا عن
الوعي تكابده.

حان الوقت

فقدت تقى نبرة صوتها عندما قالت: "الصوت نفسه! الصوت نفسه!" وكأنه في هذا العالم الأسود الذي تتواجد فيه الآن لُغت كل الأصوات إلا صوت بكاء حاد مزعج!

أغلقت تقى أذنيها وقد تكورت على نفسها. ثم تبارى الصدى مع صوت بكائها بمن يعلو الآخر: "أنتِ السبب، أنتِ السبب." وقد تكررت صرخاته آلاف المرات.

شعرت تقى أن الكلمات تهاجمها كسهوم ضارية، وبحركة غريزية أغلقت عينيها، تحركت شفتاها بلا صوت: "كفى! هو الحلم السابق نفسه! أنا السبب!"

أخيراً... ظهر غيرها بملامح ضباية لا تظهر حتى جنسه! اقترب الصوت من تقى بسرعة جنونية حتى أمسك صاحبه برقبتها يمنع أكسجين الحياة الوصول إليها، مواصلاً: "أنتِ السبب! أنتِ السبب!"

ناضلت تقى لتبقى على وعيها، وآخر ما سمعته من المجهول قبل أن تفقده ثانية: "الواضح لا يَوْصَح! أنتِ السبب في قتلي! أنتِ السبب في حزني! أنتِ السبب في تدميري! أنتِ السبب وأنتِ السبب! لكِ يوم تجازين فيه أفضل جزاء يناسبكِ!"

"من أنت!" صرخت بها تقى قبل أن تستيقظ فزعة وقد تحولت بركاناً من العرق، لامست جسدها أكثر من مرة لتتأكد أن ما شاهدته قبل قليل لم يكن إلا حلمًا.

أيقظت حركاتها سما النائمة بجانبها، عندها رويدًا رويدًا فتحت سما عينيها في دهشة لوجودها مع تقى في زنزانة، ولم يزل صدمتها إلا تذكرها حظها العاثر الذي أوصلها إلى هنا.

بلعت تقى ريقها قائلة: "ما الذي قلته عني عندما فقدت وعيي؟" لم تجب سما فكررت تقى السؤال بنبرة أكثر صرامة، لكن هذا لم يغير من حال عدم إجابة سما.

حركت تقى رأسها للأعلى وللأسفل وقد زمت شفيتها تقول: "حسنًا جدًّا، لا تحيبيني فأنا سأنهي كل شيء الآن!"

تحركت تقى بكرسيها المتحرك حتى وصلت إلى أبعد نقطة ممكن أن تصل إليها، صرخت من كل قلبها: "تهان كل الوعود إن كانت سبباً في إهانتني! أيها المحقق اظهر فقد حان الوقت!"

كتفت سما يديها، ساخرة: "لن يأتي عندما تريدونه، سيأتي عندما يريد." "

وكان تقى لا تبالي بوجودها فقد أكملت صراخها لكن هذه المرة لشخص جديد، فقد قالت: "نوح! يا أغبي وأذكي شخص رأيته في حياتي أين أنت! هناك حروف يجب وضع النقاط عليها!" بادلتها سما سخريتها وهي تزيل بقايا الدماء من فمها: "يبدو أنك تريد إنهاء كل شيء اليوم؟ عزيزتي ما بداؤه بسنوات لن تستطيعي إنهاءه في يوم!"

مازالت تقى تتجاهل سما تماماً مكلمة صراخها: "عمتي، لم أسمع صوت تصفيقك احتفالاً بتحقيق مطلبك وتحولي لما أردت بالحرف الواحد!"

أخيراً استدارت تقى لسما تكمل: "ذات النصائح العبقريّة لم لا تقدمين نصائحك لنفسك فأنت أولى بها!"

ظهر صوت نوح من الزنزانة القريبة: "لم تطل مدة حريتك، سرعان ما عدت لزنزانتك." بنبرتها الساخرة ذاتها: "لا أطيق فراقك!"

سما تقترب من تقى: "لا تطيقين فراقه أم مكانك هو الزنانة؟" تقى
بفقدان صبر: "ألن تتوقفي! دعيني أحزر وظفك إلياس لإزعاجي أليس
كذلك!"

"يا ليت!" قالتها سما وهي تقرب يدها من كتابات تقى، وقبل أن
تصل اختطف تقى الدفتر بسرعة البرق وقد توهجت عيناها وضربت قلبها
الطبول، ورقصت رثتها في صدرها، "قد أساحك على أي شيء إلا...!
وألف إلا الاقتراب من كتاباتي! مهما كان قربك مني لن يرحمك من غضبي
إن وقعت عينك على حرف منها، أفهمت!"

سما وهي تتراجع للخلف: "يبدو أن سر الكون بها!"
- "بالنسبة إليّ سر الكون أجمع بها! ثم ليس من شأنك بتاتا! أحذرك أنتِ
قريبة جداً من الخطوط الحمراء!"

فركت سما يدها على جسدها تقول بسخرية: "أخفتني." تقى وهي
تضيق عينيها: "يجب أن تخافي!" نوح بتململ وهو يبدل الوقوف من ساق
لأخرى: "يا فتاتان أنا هنا! وأريد سماع الحقيقة عاجلا غير آجل."
عضت تقى على شفتيها، تلتقط أنفاسها بصعوبة: "الحقيقة هي أنك
أعمى! لا ترى ما هو أمامك وأوضح من نور الشمس."

نوح بتوجس: "ما الذي تعنيه؟" أمسكت تقى بالورقة التي أمامها،
رسمت فيها دائرة كبيرة وفي داخلها نقطة صغيرة ثم قلبتها ليتسنى لنوح
رؤية محتواها.

حرك نوح رأسه وفمه يكاد يصل إلى الأرض: "من المستحيل أن
تكوني صادقة! إنها خاصة كيف عرفتها؟"

أقنعة

سحبت سما الورقة بفضول مبتسمة: "رسمة جميلة." لكن ابتسامتها سرعان ما زالت عندما أدركت أن صوت الرنين العالق بأذنها ما هو إلا بسبب صفعة من تقى على وجهها!

سما تضع يدها على خدها الذي ينافس عينيها باحمراره: "كيف تجرئين!" تقى رافعةً إصبعها السبابة: "أنتِ كيف تجرئين! لقد حذرتكِ والآن تحملي نتائج أفعالكِ!"

تصلب فك سما عندما قالت: "أنتِ من سيتحمل نتائج أفعاله والآن كذلك!" ثم استدارت لنوح تكمل بنظرة تحدٍ لا تنبئ عن خير: "التي أمامك ليست تسنيم!" تقى رافعةً بصرها لأعلى وقد كتفت يديها: "أما سئمت لعبة التكرار هذه!" نوح وقد ظهر ارتجاف جسده من غير أن يقدر على إيقافه: "أعلم أنكِ لستِ تسنيم أنتِ صديقتها، وهذا الأمر لا يهميني مطلقاً، ما يعنيني وجود تفسير كامل لمقصد تسنيم!"

تقى بسخرية وبقايا نبرة الغضب ظاهرة: "يحسبك تتحدثين عن نفسك." سما ولم تتغير نظرتها: "أنا سما وهي تقى." بحروف بالكاد ظهرت قال نوح: "تخدعك اسمها الحقيقي تسنيم."

سما: "أنت المخدوع، وزيادة في إدهاشك؛ لها علاقة وثيقة قديمة مع فارس."

تقى بقهقهة: "كلاكما مخدوعين، لست تقى ولا تسنيم." لم يحتمل نوح الوقوف أكثر من هذا، جلس قائلاً: "أنتِ بلا اسم فقط غيري الموضوع! هل حققتِ هدفك وشعرتِ بالنصر والراحة لخداع الناس؟ الآن أنتِ مطالبة بالشرح! لا تملكين حق التسويق مطلقاً!"

تقى مشيرة إلى إلياس: "ها هو قد آتى، حسناً... فلستُ راغبة في إعادة القصة مراراً." سما لإلياس: "حان وقت إخراجي من السجن، المجهولة تريد الحديث."

إلياس بابتسامة وهو يقترب منهم: "ها أنتِ تنادينها بالمجهولة كذلك؟" تنهدت سما: "ظننت أنني أعرفها، لكن اتضح لي أنني مخطئة جداً."

صفتت تقى لتجذب كل الانتباه لها، حشرت قبل أن تبدأ: "فارس ابن عمتي." نوح بنفس واحد: "كُشفت الحقيقة لا كلام يقال بعد هذا!"

سيدي المحقق حقق العدالة ولا تخرج هذه المجرمة من السجن أبداً! لقتلها أعز شخص في حياتي!"

حركت تقى يدها لتهدئة نوح: "على رسلك! قلت إنه ابن عمتي لم أقل إنني مجرمة!" إلياس: "أي شخص سيتحدث غيري أنا والفتاة المجهولة ستسجل ضده قضية تعطيل مجرى التحقيق!"

لعبت تقى بأصابع يدها قائلة: "بالمناسبة لست مجهولة، صدقاً لي هوية، واسم." حيث همست بآخر كلمة.

إلياس بصوت خفيف كأنه يخاف تغيير رأي تقى: "واسمك هو؟" تقى بنصف ابتسامة: "لا فائدة من معرفتكم به، من يدري ربما أغیره للمرة الرابعة!"

إلياس: "نريد الاسم الأصلي على الأقل! أهو تقى؟" حركت تقى رأسها نفيًا، وبنبرة غامضة تحدثت: "بالنسبة إليّ كل اسم جديد هو أصلي." ضيق إلياس عينيه: "واضح أنك تحبين اسم تقى وتكرهين اسم تسنيم أليس كذلك؟" رفعت تقى كتفيها: "نعم، لا أفضل اسمًا على الآخر، كل ما في الأمر أن اسم تسنيم له ارتباط كبير بالماضي لذا غيّرتة ولا أحبذ مناداتي به."

المحقق بنبرة جادة: "لم تكتمتِ عن قول الحقيقة كل هذه السنوات؟"
 سحبت تقى نفساً عميقاً: "قلت السبب آلاف المرات!" بلع إلياس ريقه
 كأنه يستعد لسماع أهم ما في الكون، قائلاً:

"سمعتكِ تقولين تهون كل الوعود إن أهانت وعدي لنفسي، أما قد حان
 وقت تهوين الوعد؟"

أمسكت تقى الرسمة مجدداً وقد مررت يدها عليها سريعاً، ومعها
 مسحت دمعة متمردة تقول بعد أن لعقت شفيتها ورفعت رأسها لأعلى:
 "بلى، قد حان!"

أوقات عصيبة

غرس تقي يدها في شعرها تسحبه في يأس، أغلقت عينيها تتخيل بسذاجة أنها صامته، تنهدت ثم تكلمت بما لا شك سَيَنْدُمُهَا: "قلت لك سابقاً إنني قابلت تسنيم قبل أربع سنوات في المقهى، لكنني لم أقل إنني أشك بأن التوقيع على ورقة التهديد بقتلي هو نفسه توقيع تسنيم، أنا خائفة، فقبل أن نبدأ أريد وعداً بأن تحميني منها! "إلياس بلا تردد: "وأنا قلت لك كذلك إن كنتِ معنا فأنتِ محمية بلا شك."

أومأت وبلعت ريقها: "أتذكر أنه في وقت لاحق من ذلك اليوم سألت فارساً عنها، لكنه أنكر تماماً وجوده معها." ضيق إلياس عينيه: "إذن كيف عرفت أنه فارس؟"

تقي: "من ظهره، ثم هناك حقيقة لا شك فيها أن فارس أكبر كاذب قد تقابله في حياتك، واستنتجت كذلك من الأحداث التي تلت هذا الحادث أن الجالس معها هو فارس."

إلياس: "لتسليم يد في مقتل تقى؟" ضحكت تقى بخفة: "مقتل؟ ما أسهل خداعكم يا جماعة."

نوح بأمل: "أما زالت تقى على قيد الحياة؟" وكانت نبرته مشككة لأبعد حد. المحقق بنبرة تحذير مخيفة - فهو لا يريد لأي شيء تعطيل قضية سهر عليها طويلا - "أي كلمة... ستحرمك المكوث هنا!" ثم وجه نظره لتقى يكمل: "ماذا تعنين؟"

تقى شبه مبتسمة: "أين فارس؟" التقط إلياس نفساً عميقاً ليكظم غيظه، قال: "لا تجيبي عن سؤالي بسؤال! أعتقد سمعت السؤال... ها! ما جوابك؟"

وكأنها لم تسمعه كررت السؤال بحدة وابتسامتها مالت أكثر حتى أصبحت مخيفة: "أين فارس! " إلياس بفقدان صبر وقد هز قدميه: "أين تعتقدين أنه موجود! في السجن بالطبع." تقى ببساطة: "أحضره." عض نوح على شفتيه لئلا ينفلت الكلام من فمه؛ فيحرمه سماع هذه الأحداث العظيمة.

عقد إلياس حاجبيه: "ماذا؟" تقى بهدوء بعدما شربت كوب الماء: "مثلاً سمعت، أنتم تريدون الحقيقة إذن وفروا لي الأجواء المناسبة لقولها."

زم المحقق شفّتيه وهو يومئ برأسه ثم صفق بيديه ليظهر ضابط فوراً، قال له: "أحضر السيد فارس، لنرى آخرتها معك يا أنسة مجهولة."

تقى بروح حاملة: "أفضّل مناداتي بحرف التاء، أحب هذا الحرف كثيراً." إلياس: "أهناك سبب لمحبّتك لهذا الحرف بالذات؟" تقى وابتسامة خفيفة تشكّلت على وجهها: "بالتأكيد! كل ما أفعله له سبب مقنع جداً." سما بصوت خفيف: "تقى... تسنيم... بالطبع هي تحب هذا الحرف فقد اختارته الحرف الأول لجميع أسمائها." رمق المحقق سما بنظرة حادة؛ ألزمتها الصمت.

دخل فارس برفقة الضابط قائلاً: "هذا أمر لا يحدث كل يوم." إلياس وقد بدا الانزعاج واضحاً عليه: "جاء مطلبك تحدّثي الآن بلا انقطاع." تقى متكتّراً رأسها على يدها: "جيد، هل سمعتمهم يا فارس؟ تحدّث بلا انقطاع فأنت تعرف التفاصيل أكثر مني."

ضرب إلياس على قضبان السجن: "سمّت من تسويفك... وستدفعين ثمن هذا غالباً!" وجه المسدس لتقى يصرخ بنبرة لا تحتمل إلا الطاعة: "الآن حديثك بات متعلقاً بروحك!"

حالة ملل

من حال تقى تحيرت الكلمات وتبعثرت فالكلمات ترفض أن توصف
في مثل هذا الحال، حال مزرٍ يخشى من الحديث فكيف للكلمات الضعيفة أن
تصف من هو أضعف منها!

بلعت تقى ريقها مشاهدةً إلياس يدخل الزنزانة و يغرز المسدس في
جبهتها قائلاً: "عند الثلاثة إن لم تتحدثي سأطلق!" تقى: "لكن! إلياس:
"واحد." تقى: "فارس سيتحدث!" إلياس: "اثنان." تقى: "الأمر معقد
ارحمني!" إلياس: "ثلاث..." تقى ورأسها بين يديها: "حسنًا... حسنًا!"

خرجت إلى أقرب زاوية، تحديق فيها عن بُعد بنظرات تحوي ألف
قصة، ولا تجرؤ العودة إلى مكانها عندما قالت تقى وهي تلعب بأصابعها:
"عمتي السبب."

هز فارس إصبعه السبابة: "إياك!" المحقق مشيراً إليه بإحدى يديه
بينما يده الأخرى ممسكة بإصرار بالمسدس المصوب على رأس تقى: "قيدوا
فمه، لا أريد غير صوتي وصوتها في هذه الغرفة!"

حركت تقى رأسها يمينًا ويسارًا كأنها تُنكر فعلتها: "عمتي ليست السبب، صحيح أنها حرصتني وابنها، لكن أين كان عقلي!".

رفعت تقى كلتا يديها: "ساحمني!" في ذلك الوقت حاول فارس جاهدًا فك قيد فمه فهو يعلم مصيره بعد كلامها، لم يظهر منه إلا آهات تنبئ عن فشل مهمته، حاول تحريك رأسه ليعدل تقى عن قرار سيدمرها قبل أن يدمره لكن تقى المجبرة لا حيلة لها الآن؛ فالسجن خلفها والمسدس أمامها.

أشارت إلى المسدس: "لن أستطيع الحديث وهذا الشيء في وجهي".

أبعد إلياس المسدس عنها ببطء شديد وكأنه يحذرهما، ثم وضعه في جيبه لاستخدامه إن اقتضت الحاجة.

فركت تقى جبهتها في محاولة فاشلة لإزالة أثر فوهة المسدس قبل أن تتكلم ودموعها على وجنتيها الحمراءتين: "نوح، حاولتَ تدميري مرارًا، لكن هل لاحظت أنني حاولت رد ما فعلته بالمثل؟" عقد نوح حاجبيه في صمت ناظرًا بخوف إلى إلياس.

أكملت تقى وصوت نبضات قلبها أعلى من قطرات الماء النازلة في ملل على ملل من صنبور الغرفة المجاورة: "كنت بريئة وبسببكم تدنس براءتي!" حيث ضربت قدمها بقوة فانهمرت دموعها.

تابعت تقى بعدما عضت شفيتها: "بسببكم؟" ثم أطلقت ضحكة مكتومة تحمل الكثير: "من أخدع؟ سبب كل ما حدث هو ضميري الذي قرر السبات العميق!"

لم تستطع سما عقد لسانها: "فما الذي حدث؟ أأعرفه؟" إلياس بحدة مشيرًا إليها: "قيدوا فمها هي الأخرى."

ابتسمت تقى وعبست: "الذي حدث لم يعرف به أحد." وأجابت عن فارس دون أن يسأل: "حتى أنت يا فارس لم تعرف به."

المحقق بفقدان صبر وقد أعاد المسدس لجهتها: "ما تقولينه كلمات متقطعة لم أفهم منها شيئًا، ترجمي وإلا!"

تنهدت تقى بهدوء وهي تبعد المسدس: "مسدسك لن يجبرني على السرد، قد قررت ذلك لأزيح الهم عن صدري."

ثم أشارت إلى قلبها بابتسامة حزينة: "... ولأن هذا يستحق حياة أفضل لم أقدمها له يومًا." أشارت إلى عقلها: "يمنعني هذا عن الكلام، لا يدري أنه قد ينهي حياتي، الميتة أساسًا."

أحكمت تقى القبض على الرسمة: "ألا تذكرك بشيء؟" إلياس: "دائرة تحوي نقطة، ما الذي يمكن أن تذكرني به!" تقى وهي تنظر للأسفل

بنظرة سارحة: "نوح يعلم، دع له المجال ليتحدث، لا أملك الطاقة الكافية لشرح هذه الرسمة."

أشار إلياس إلى نوح موافقًا له بالحديث، تردد نوح قبل أن يقول: "إنها علامة." المحقق في تأهب لوضح المسدس على رأس نوح إن لزم الأمر: "إلام تشير؟" بلع نوح ريقه: "لا أعلم." قَرَّب المسدس منه، تراجع نوح: "أقصد لا أتذكر!" فغرز في جبهته، فاستقر نوح على قوله أخيرًا: "زوجتي أخبرني بها، علامة لشيء مجهول." حرك المحقق رأسه يقرب المسدس أكثر فأكثر: "لم تعجبني كلمة مجهول فسرها!" حاول نوح إبعاد المسدس وعندما لم يستطع قال: "الأمر برمّته سر، لا أعرف عنه أكثر مما قلت، صدقني."

تنفس نوح الصعداء عندما رأى تغيير وجهة المسدس عن رأسه إلى رأس تقى، قال إلياس: "ما تعليقك آنسة حرف التاء؟ ضقت ذرعًا بكم! أريد إجابات واضحة ومختصرة بلا زيادة أو نقصان! أو صدقيني لن أتردد لحظة في استعمال مسدسي! عندها لن يهمني إذا خسرت وظيفتي أو قضيتي صدقيني!"

ابتسمت تقى ابتسامة حزينة: "هذه علامة اتخذتها للبداية، النقطة
تمثلني والدائرة ما وضعت نفسي به من مصائب. ثم إن نوح صادق كاذب."
المحقق صاحبًا زناد مسدسه للإطلاق: "جيد، لا تنسي أن تُقرئي تقى مني
السلام، ثم أخبريها بأن قضية مقتلها قد أرقت مضجعي!"

لا تطاق

أغمضت تقى عينها بابتسامة هادئة تنتظر مصيرها الذي ربما يكون منقذها من كل ما أدخلت نفسها فيه.

"سيدي! هناك امرأة تُلح في مقابلتك، وتشير إلى أن لديها معلومات وأدلة خطيرة قد تغير كل شيء." قالها الضابط بنفس واحد وهو يضع يديه على ركبتيه.

إلياس: "لحسن حظك، وصلت المرأة الآن لتحملك مني، أدخلها." دخلت نوران وهي تحمل حقيبة ظهر كبيرة نسيًا، فور رؤيتها صاحت تقى مشيرة بيديها لإلياس: "هيا! عجل بإطلاق النار قبل أن تتحدث معي هذه المرأة!" أجابتها نوران: "هذه المرأة عمته!"

إلياس بتململ: "أكره قطع مشاجراتكم العائلية، غير أنه واجبي إنهاء القضية الآن، فإن لم تكن معلوماتك لخدمتها فاخرجي الآن!" حيث قال أواخر كلماته مشيرًا إلى الباب.

"لدي جملة معلومات تخفف ما سيحكم على تاليا وفارس." قالتها نوران وهي تبحث في الحقيبة.

من يستطيع الكلام سأل: "من تاليا!" ومن لم يستطع كانت ملامح وجهه كفيّلة بالسؤال نفسه.

تقى بنظرة حاملة: "الاسم الذي وُلدت به هو تاليا، وهو أقل اسم استخدمته في حياتي، فأخر استخدام حقيقي له منذ موت والديّ." ألقى إلياس نظرة على وجه سما المصدوم، بنصف ابتسامة أمر: "دعوها تتكلم، المسكينة على حافة الانفجار لدرجة أن عينيها بدأت بالحديث."

فور تحرير فمها، كاد أن يصل إلى الأرض، قالت بكلمات خرجت من غير رقيب: "معنى كلامك أنه بالمعنى الحرفي للكلمة أنا لا أعرفك البتة!" أمسكت تقى بمعصمها ودون أن تنظر لها قالت: "أخشى ذلك، فأنا لم أدع المجال لأيّ شخص في الكون أن يعرفني بشكل كامل، كل شخص يعرف عني نقطة في بحر."

سما وهي تضحك على سذاجتها: "والنقطة التي أعرفها أيضا خلاف الحقيقة!" أو مأت تقى موافقة بصراحة تحسد عليها.

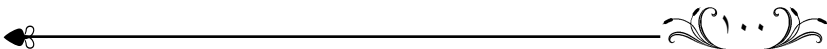
إلياس لسما: "كيف استطعتِ مُصادقتها! أعرفها من فترة قصيرة وأريد التخلص منها! هي إنسانة متذبذبة لا تطاق!" تقى بابتسامة: "شكراً، إذن نجحت فيما أريد. هذه شهادة عظيمة!" أضاف إلياس: "ولسانها

سليط! يتحدث بكل شيء إلا الشيء المهم!" صفقت تقى وقد اتسعت
 ابتسامتها: "رائع رائع! أشكر لك مشاعرك الطيبة والصادقة!"
 أخيراً غيّرت نوران من الموضوع عندما أخرجت صندوقاً احتاجت
 أن تنفخ عليه لتظهر ملامحه، قدمته لإلياس من غير أن تنبس بشفة كلمة.
 "قرص مدمج؟ ما الذي يحويه؟" قالها إلياس وهو يخرج أول شيء
 ظهر له ويتفحصه.

نوران وهي ترفع كتفيها: "لا أعلم افتحه واكتشف، ابني قبل أن
 يدخل السجن طلب مني إعطائه الشرطة في الوقت المناسب وأعتقد أنه لا
 يوجد وقت أنسب من الآن."

أمر إلياس الضابط: "أحضر لي ما أستطيع به تشغيل هذا القرص."
 شعرت تقى من ملامح فارس أن القرص يحتوي ما لا يحمد عقباه، فقد
 تحول فارس لشلال من العرق، كم تمنّت تقى في هذه اللحظة فك قيد فم
 فارس!

لو كان لعين تقى خيار لخرجت من محجزها! ولو امتلكت قدمها مقدرة
 لفرت هاربة! ولو أن القرار بيدها لاثبت عينيها على رؤية هذا المقطع! كل
 ما استطاعت تقى النطق به لفارس: "أيها الخائن!"



أكاذيب

لم يكن أسوأ حالا من حال نوح، انزوى على نفسه حتى أصبح ككرة مرتجفة، تحرك للأمام والخلف مرددًا: "ألهذه الدرجة كنت في خطر يا عزيزي ولم أعرف! كم أنا سيئ! كم أنا سيئ!"

بابتسامتها الماكرة المعهودة أومأت قبل أن تحرك يدها إشارة إلى فارس تحذره: "البادئ أظلم يا فارس." ثم وجَّهَتْ نظرها إلى المحقق: "أنا أشهد أن فارسًا هو من قتل تقى."

ضيق إلياس عينيه: "وما كانت مهمتك في الموضوع؟ فأنا واثق أن تهديدك لتقى في المقطع لم يكن مجرد كلام بل نفذته؟"

بلعت تقى ريقها: "لم أشهد على مقتل تقى وهربتُ بسبب أمور كثيرة." - "رغم أنه ليس جوابًا مناسبًا لسؤالي لكن لا بأس، موضوعك مهم أكملني أنا منصت، ما أمورك؟"

تقى تتحدث وهي بذاتها لم تصدق كلامها: "من وجهة نظري تقى لم تقتل ظلمًا بل كانت تستحق لذا لم..." برزت عروق نوح ولم يمنعه من لكمها إلا زنارته صرخ: "أيتها ال... قاطعه إلياس أن قيدوا فمه.

امتلات مقلتا تقى بالدموع تغالبها: "كانت طيبة ساذجة أوقعت نفسها في مشاكل كبيرة، فعلاقاتها سبب مصيرها."

كم تمنى نوح إزالة قيد فمه! كيف تجرؤ هذه البلهاء أن تقول هذا عن محبوبته! لسان حاله يقول: ما أقسى قلب فتاة التاء لتتحدث عن أطيّب من في الكون بهذه الطريقة! وتزعم أنها صديقتها!

قهقهت تقى رغم دموعها التي تمردت: "عندما تستنكر أفعالي يا نوح استنكر أفعالك أولاً! فالأحق من لا يشك أو لا يوقن بالأحرى أنك وراء حادث الطائرة والقارب!"

المحقق: "ظهرت نتائج تحقيقات الطائرة، المحرك احترق بسبب عطل ميكانيكي في هيكل الطائرة." زادت قهقهة تقى وهي تقول: "هذا لا يبرئه من حادث القارب."

آهات مكتومة صدرت من نوح وحركات عشوائية تلتمس تمكينه من الكلام، لدرجة أنه لو كان الأمر بيده لاختار أن يتكلم فقط اليوم ويفقد القدرة على النطق باقي حياته، لا مانع لديه، فكل ما يرجوه الآن دقيقة يدافع فيها عن عزيزة قلبه.

المحقق: "اسمحوا لنوح بالكلام، لكنني أحذرك إن حاولت النطق بأي كلمة مسيئة سترى ما لا يعجبك!"

نوح بنبرة انكسار: "ألم ترتح صديقتك السابقة منك حتى بعد موتها! أتدريين، بت أشعر أن الحجر يغضب إن تم تشبيهه بقلبك!"
 تقى بابتسامة هادئة لا تناسب الموقف: "قلتها سابقًا وسأعيد، تقى لم تكن صديقتي." التقط نوح أنفاسه بصعوبة قائلاً: "كنت كثيرة التردد عليها! بَمَ تسمين هذا؟"

كزت تقى على أسنانها: "لأنك كنت كثير التردد عليها! كنت أريد معرفة نقاط ضعفك وقوتك!" ثم صرخت بما يُوسع عينيها: "أردت دائماً وأبداً تدميرك! كل شخصياتي أنت عدوها الأبدي! عرفت أنك تعشق تقى لذا ادعيتُ صداقتها لأصل لك! دمرتُ تقى لأدمرك! اخترت اسمها لأذكرك كل دقيقة بموتها! كيف أشهد وأنا من كان أسعد الناس نبأ مقتلها! ما فاتني معرفة أنك زوجها فقط، لو أني عرفت حينها لكنت استغللت الأمر جيداً! أكرهك بكل ما في الوجود من كره!" في ذلك الوقت صفق عقلها بنبرة ساخرة ولسان حاله يخاطبها: جيد... واضح أن الحقيقة التي أخفيتُها سنين طوال أظهرتها في الوقت الملائم جداً جداً لتدميرك! أهنيئ ذكائي الفائق!

عقدت سماً حاجبيها، وحركت رأسها استنكاراً: "صحيح أني لا
أعرفك لكن من المستحيل أن تكوني تقى!"
ضحكت تقى بجنون: "لست تقى! أنا حرف التاء! الذي سيدمر
نوحاً ولو كان هذا آخر نفس في جوفي!"

عتاب

نوران باشمئزاز: "مريضة!" رفعت تقى حاجبًا: "الفضل يعود لك أنتِ وابنكِ."

بصوت مُتعب جاهد نوح ليخرجه: "ما الذي فعلته لأستحق انتقامكِ؟" تقى بابتسامة باردة: "أُتسأل؟ حسنا تستطيع بنفسك إجابة سؤالك إن أجبتَ سؤالِي: "ما هدفك من حادث السفينة يا سيد ملاك؟" لم يحاول نوح كتم دموعه قط، أجابَ محاولاً تخفيف ما به من خطايا: "أردت قتلك! أو إلصاق التهمة بك على أسوأ تقدير!"

تقى بهدوء مصفقة: "ممتاز! انتهت القضية يستطيع الكل العودة إلى منزله الآن! أعلم أنني قمت بوظيفتك على أحسن وجه لا داعي لشكري سيد محقق محترم."

سما بوجه ممتعض: "كنت صديقة شيطان بزيّ ملاك!" عقدت تقى حاجبيها وهي تضرب الهواء: "يا لحظي! لم أشأ رؤيتي بزي الملاك، فهو لا يروق لي."

نوح وهو يشعر أنه سينهار في أي لحظة: "في ذلك اليوم عندما زرتك في محبسك، ما الذي قصدته بخيانته تقى وأن الأمر خطط؟ أكان هذا كله لتدميري؟"

أغمضت تقى عينيهما وفتحتها عدة مرات قبل أن تقول:
 "للأسف لم أحسن استغلال تلك اللحظة لتدميرك، فقد كنت مثيراً للشفقة، ما قلته - في لحظة مميزة لا تتكرر إلا قليلاً - حقيقة."
 إلياس بنبرة أمرة حادة: "فسريه إذن!" أبرزت تقى شفرتها السفلى:
 لا أشتهي تفسيره الآن، سيفسره الزمان لا تقلق. "إلياس وهو يستدير مواجهًا باب الخروج: "يبدو أنني سأسمح لتسنيم بزيارتك." تقى بتوجس: "ماذا تقصد!" غادر إلياس ولم يجبها.
 غطت سما وجهها: "كيف وصل بك الحال إلى هذا! يا من ظننتك صديقتي!"

ابتسمت تقى ابتسامة وصلت لعينيها وقد كانت مرعبة بالمعنى الحرفي للكلمة، وضعت يدها تحت ذقنها ثم أولت سما كل اهتمامها قائلة: "سؤال عبقرى مثلك يا ذات النصائح العبقرية، جوابه بسيط يستطيع إجابته أي شخص ذاق ما ذقته، لكن المستحيل في الأمر كيف تجددين شخصًا عانى ما عانيت وما زال عاقلاً أو على قيد الحياة؟" ضحكت تقى وقبل أن تكمل

أزالت مخلفات دموعها: "لا تقولي إنه بوجودي أنا يوجد غيري، فالتى أمامك ليست عاقلة البتة! مجنونة، مجنونة للحد الذي لا جنون بعده! هل تعلمين لم أنا مجنونة؟"

سما وهي تتحاشى النظر بعينيها: "لأنك لم تفهمي نفسك، وحسبت أن العالم عدوك!" حركت تقى إصبعها وهي تزم شفيتها عاقدةً حاجبيها: "إجابة خاطئة لم أتوقعها منك يا ذات النصائح العبقريّة! أنا مجنونة لأنني اخترت طريق الانتقام الأسود الذي يغرقني حتى كدت لا أرى نفسي، فضلت على طريق المسامحة، طريق تحقيق حلمي! أنا أكثر من في الكون جنونا، فقد أردت المَعْقَد في كل ما أفعل! دخلت في متاهات مظلمة والنور تركته خلفي!"

سما: "حالك مبك! أين كلامك السابق! ألسنت من ركب الطائرة ليفتح صفحة جديدة! ألسنت من وعد بالكتاب في غضون شهر! مرّت شهور وليس شهراً وما النتيجة؟ تراجعك للخلف ألف خطوة! قلتها وسأكررها لولا الشكل لأقسمت إن التي أمامي ليست تقى أو تاليا أو أيّا كان اسمك! أنتِ شخصية ضد الشخصية التي أحببتها!"

كتفت تقى يديها وبرود خاطبت عمته: "علّقي على حديثها، لديك تفسيرات مدهشة أهرينا بسماها!"

لعلت نوران شفيتها وبلعت ريقها، لوّحت بيديها مودّعة وغادرت
بهدوء من غير أيّ كلمة!

تقى بنصف ابتسامة ناظرة إلى الأرض: "أرأيتِ سما؟ غادرت في
موقف بسيط، لكن لا يغرك الأمر فأقربائي الباقون وهي من بينهم بالطبع
وابنها قد غادروني في مواقف صعبة كنت في أمس الحاجة لهم وقتها!"
أمسكت تقى ما بجانبها دفعته أرضاً حتى تحطم لقطع صغيرة جداً، بوجه
غطته بقناع جليدي رغم النار التي خلفه أكملت: "قلبي تحطم مثل ما
تحطمت هذه الأشياء لذا فقدت الإحساس تماماً!" أعادت الجملة بهمس
ناظرة إلى جرح أحدثته بفعلتها هذه: "فقدتُ الإحساس تماماً."

إلياس بنبرة سخرية مزعجة وهو يدخل بمشيئة متكبرة: "جيد أنك
فقدتِ الإحساس لتتحلمي التالي."

داعب أنف تقى رائحة عطر قوية لم تستغربها، منعته من الاستفسار،
وقد ظهر صوت كعب قبل أن يظهر صاحبه، حاولت تقى تحريك رقبتها
لتعرف القادم لكنها لم تستطع، لم تمر إلا ثوانٍ وظهر الشخص وليته لم يظهر!

المجنونة

"أنتِ مستعدة للنهاية يا حرف التاء؟" قالها إلياس وهو يفتح باب الزنزانة له وللآنسة التي بجانبه.

تمتت تقى: "ت.. تسن.. تسنيم! أنتِ من هددني! تبدل الشك باليقين! ما الذي فعل.. فعلته لك! أنا حتى ل..سم أقابلكِ إلا مرة واح.. واحدة ولثوانٍ معدودة!"

تسنيم بصوتها الشجي: "على رسلكِ يا فتاة، لا تعطي نفسك أهمية كبرى! أي تهديد! وأية مقابلة! لم أقابلكِ في حياتي!"

صاحت تقى تحاول الحِفاظ على الرmq الأخير لكلمة عاقلة: "كاذبة." ثم بحركات غير مدروسة بحثت في أشياءها المرمية في كل مكان، أكملت تقى: "أليس هذا توقعيكِ!" وقد تخلل كل كلمة قالتها ضحكة مجنونة.

ضربت تسنيم على صدرها وهي تشاهد التوقيع: "ليس بين توقعي وورقتكِ أي نقطة تشابه ولو صغيرة! أنتِ مجنونة تحتلق الأحداث بامتياز."

حرَّكت تقى رأسها غير مصدقة وكعادتها انهالت دموعها، لو أنَّ هناك جائزة لأكثر شخص لديه القدرة على البكاء لنالتها بجدارة، تحدثت تقى مع إلياس وكأنه أملها الأخير: "ألم تجلبها لتذكرني بتهديدها وبالتالي أتحدث!"

انكمش وجه إلياس مستغرباً: "خطة طفولية بالطبع لم أفعلمها." نظرت تقى للجزء الخالي من الزنزانة وبهمس قالت: "فسروا لي كيف أعرف اسمها."

لامست تسنيم أظافرها بسرعة قائلة: "الذي يحتاج تفسير هو عدم معرفة أحدي وليس العكس، فأنا مراسلة مشهورة." عصَّت تقى شفيتها: "لم وافقت على حمايتي منها إن لم يكن التهديد من قبلها؟" إلياس المحقق بنصف ابتسامة: "لم أكن أعرف أنها تسنيم المقصودة، فلو كنت أعرف لنعتُّكِ بالجنون على الفور."

رفعت تقى رأسها تحاول الحفاظ على رباطة جأشها: "إذن ما سبب زيارة شخصية مهمة ومشهورة مثلها لي؟" ارتفع كتفا تسنيم: "فضول، وفقط فضول، الصحافة في الخارج لا تنفك الحديث عن مدى غرابتك وغموضك، أردت معرفة سبب حريتك كل هذه السنين وأنت متهمه في

جريمة قتل! أردت معرفة سبب عدم شهادتك وخيانتك غير المبررة، أردت فك سرّك!"

أمسك إلياس الورقة والقلم: "أكمل حديثك يا حرف التاء. أعادت تسنيم آخر كلامه بصوت هامس: "حرف التاء؟ مثير للاهتمام!" تقى بشرود: "منذ متى يسمح بالمراسلين حضور مثل هذه الجلسات السرية؟"

إلياس عاقداً حاجبيه غضباً: "في جلساتي يحدث ما أريده! أجيبي من غير زيادة أو نقصان!" أخذ نفساً عميقاً وأردف: "أنت أكثر من يعرف أسألتي لذا أجيبي بلا انقطاع!"

- "كلما حاولتُ التغلب على الماضي يظهر لي بشكل أقوى! إنه لا ينفك عني! كأنه كُتِبَ عليّ العيش في الماضي! أنا في حلقة تدور وتدور ولا تنتج إلا الماضي! حقاً... تعبت!" أمسكت تقى بورقة فارغة تحفرها بالقلم حتى مزقتها لتنتج الدائرة السابقة نفسها، ذات النقطة، لكنها هذه المرة ثقلت النقطة وأضافت فوقها "آسفة"، ودون مقدمات أطلقت ضحكة تنسب إلى مجنونة، تصرخ وهي تمزق جميع كتاباتها السابقة (بها في ذلك النسخة المطبوعة من روايتها): "قد حان وقت النهاية!"



المجهول

غطت تقى وجهها بيديها تتحدث بصوت يكاد يسمع: "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة." المحقق: "أيُّ مفاجأة هذه؟" أما تسنيم فقد اكتفت بابتسامة مجهولة السبب، وسيئة العاقبة.

رددت كأنها قد فقدت اتصالها بالعالم الخارجي: "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة." إلياس وهو يتنهد بتعب: "حسنًا سنذهب إلى هناك وأنتِ معنا، لكن إياكِ ثم إياكِ أن يكون الأمر مجرد وسيلة لتضييع الوقت! سأطلق النار عليكِ بلا ذرة تردد إذا كررتِ جملتكِ الاعتيادية بأنكِ لن تتكلمي حتى تحضر تقى الميتة!"

- "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة."

- "أريد الذهاب معكم!" المحقق بنبرة لا جدال بعدها: "لن

تذهب!"

- "إنها زوجتي!" المحقق بقسوة ساحبًا معه تقى: "كانت زوجتكِ في

حياتها، أما في موتها فهي قضيتي."

صرخت سما ليسمعها إلياس قبل أن يغادر: "وأنا؟ ما مصيري؟ الكل يعلم أنني بريئة وأنني هنا في غير مكاني!" إلياس وهو يشير بيده إلى تسنيم لتلحقه قبل أن يغادروا: "ربما نحتاجك يا سما، أيها الجندي أعد فارسًا إلى زنزانته."

فور فك قيد فم فارس صرخ بعزم ما فيه: "مجنونة! تريد تدمير نفسها وتدميركم لا تذهبوا إلى هناك!" لم يسمعه سوى صدهاء الذي كان يزلزل أرجاء المكان!

القبر

رائحة الموت غزت هذه المقبرة حتى اعتقدت تسنيم أنه تمّ تبديل الأكسجين بهذه الرائحة البشعة، صوت نبضات قلوبهم قطع صمت المكان، كادت تقى تتجمد، ولولا يقينها بأنه فصل الصيف لأجزمت أن حبات الثلج تتساقط.

بدد صوت إلياس الصمت المخيم على أرجاء المقبرة، ولو سُمح للشواهد بالتحدث لَأَثَبَتْ إلياس على تهاونه في تقدير حُرمة المكان!: "إذن يا حرف التاء؟"

- "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة."

تسنيم وهي تشير إلى شاهد يقبع في وسط المقبرة بهيبة عجيبة: "كُتِبَ عليه اسم تقى." تحرك فم تقى بابتسامة ترفع القلوب إلى الحناجر: "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة." فور وصولهم، رمت تقى نفسها على الأرض ورسمت على الرمال بجانب القبر ذات الدائرة بنفس ملامحها السابقة وقد أضافت (لستُ) لكلمة (آسفة) السابقة!

إلياس يرمقها: "ما الذي تفعلينه!" حدّقت فيه بجمود قبل أن تعود إلى الرمال بجانب القبر تحفر بعزيمة جبارة: "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة." سئم إلياس من منظرها وهي تحفر بلا كلل، فأخرج مسدسه يكرر عبارتها بسخرية مصوبًا إياه تجاه رأسها: "في قبر تقى تكمنُ المفاجأة، يبدو أن المفاجأة ستكون موتك!" لكنه غيّر وجهة المسدس عائدا أدراجه حتى سقط أرضًا، فالذي أمامه من المستحيل أن يكون حقيقة!

لعنة الحقيقة

أخرجت تقى من الحفرة بجانب القبر صندوقاً ضخماً نُقِشت عليه نقشات تُجمد الدم في العروق، مسحت عليه أكثر من مرة حتى بانّت ملامحه المربعة بشكل أوضح: "أخيراً قد بان المستور من تحت غطاءه! لكن هل أنتم مستعدون لهذه اللحظة؟"

قام إلياس وهو ينظّف حُلَّتَه، محاولاً التماسك: "لم نكن في حياتنا مستعدين أكثر من هذه اللحظة."

أخرجت عقداً ذا فص دائري كبير من الصندوق بابتسامة لا تفسر، إلياس: "أهو عادي؟" تقى بهدوء وهي تمسح على العقد:

"لا شيء في حياتي عادي!" بحركة معاكسة تماماً لهدوئها السابق، حملت كل مكنون صدرها وهي تطرق العقد بالأرض؛ ليتكسّر الفص كاشفاً عن السر الأكبر!

"ورقة، لكنها فارغة!" قالها إلياس بحاجبين معقودين وهو يحاول استكشاف ما بها.

لم تنبس تقى بنت شفة وهي تخرج عدسة احتواها الصندوق، بعد ذلك مررت العدسة على الورقة.

"أبها كلامٌ بالخبر السري!" قالها إلياس بانفعال وهو يحاول سحب الورقة.

لاحظت تقى ما بها محاولة حجب الورقة عنهم: "تلاشى الأمان من دنيائي وانطفأ سراج الأمل." "أدركت متحسّسةً دموعها أن أقدام الزمن تنذر بتحطيم أحلامها، وأنها لن تستطيع إيقافها، حركت رأسها مواصلة القراءة وهي تزُم شفتيها محاولةً كتم دموعها لئلا تفسد معالم الورقة مفتاح الحقيقة: "حروفي... هنا نسجها لتكون شاهدة على الذي حدث أو سيحدث، شاهدة على غدر الزمان ومغادرة الأحباب، لكنني في الوقت نفسه أحمّزُ القارئ... إن لم يكن هو المعنيُّ بالأمر فستحلُّ عليه لعنة الحقيقة!" أجهشت تقى بالبكاء أسقطت رأسها في حجرها تتحب، خرَّت قواها فلم تعد ترى أمامها.

تسليم في ازدراء: "أنسيت القراءة! أعطني الورقة لأكمل عنك." تحاملت تقى على نفسها لتنطق: "لن يستطيع أحد إكمال الورقة غيري، وإلا ستحل عليه اللعنة كما حلّت عليّ."

خاطبت تقى نفسها وهي تمسح دموعها بعنف شديد لدرجة احمرار خديها: "حان الوقت لا مجال للتسويق بعد الآن، يجب أن أسقط هذا الحمل عني، مهما كان الثمن، لم أعد أهتم فقد خسرت كل ما يمكن خسارته ، بما في ذلك حلمي الوحيد!" عضت شفتيها وعادت القراءة: "... في اللحظة التي يهدأ فيها أنيني ويسكن نبض قلبي ولا تبدي جوارحي أي ردة فعل، سيكون الوقت الأمثل لمتابعة القراءة... بين سطور هذه الورقة سيتصارع الماضي والحاضر وعندها سيتحول ما كان كبيراً إلى ذرات لا تُرى، ذكريات تتشتت، وأخرى تموت، لكن عليك ألا تفقد ضميرك الآن! أيها القارئ، ما أمامك سلاح فتاك قد يقتلك قبل أن يقتل غيرك! إن لم تكن مضطراً لمواصلة القراءة فتوقف! لا تعجل بإشعال نار قد خمدت منذ زمن قديم... قديم قدم هذا العقد!"

إلياس: "توقفي حرف الناء!" تقى بصوت بالكٍ يكاد يفهم: "ألا تريد الحقيقة؟ فلتحمل تبعات ذلك! ولتدرك سبب إخفائي لها طوال هذا الوقت ، وقد أصررتم بعناد على معرفتها! حان الوقت لتحل عليكم لعنة الحقيقة كما قد طالتني!"

برَدَت نظرة عيني تقى وغشيها الانزعاج متابعَةً القراءة: "متى...؟ من...؟ كيف...؟ أسئلة قضيت عمري باحثة عن إجابات شافية لها،

وعندما وجدت! طمرت الإجابة في أعماقي، جعلتها سرّي الدفين وأقمت سدًا بينها وبين لساني، ظننت أن الإجابة لن تظهر للملأ أبدًا، ونسيت أو تناسيت، فإن دوام الحال من المحال! فقد قابلتني من كان لديها أكثر من شخصية إلا شخصيتها الحقيقية، سحرتني رقة نصائحها وعذوبة ألفاظها، حتى نطقْتُ حُمقًا بكل ما أملك! أقسم في تلك اللحظة سمعت عقلي يطلب من باقي أعضائي الاستعداد للموت! وكيف لا يفعل وأنا أنبتُ بذرة لعنة الحقيقة حتى غدت شجرة ذات ثمار سامة! وا أسفاه لم أجد ثمة طريقة لاقتلاع هذه الشجرة! فكان لابد من اقتلاع روحي بدلا منها!"

حد أحمر!

ضحكت تقى بلا مبرر قبل أن تَضم رأسها في حجرها، ليتحول الضحك لنحيب حاد، أمسكت كتلة ضخمة من التراب تفرغها على رأسها دفعةً واحدة، قائلة: "إني أستعد للتالي! أستعد لموتي!"

تسним بابتسامة وهي تساعد تقى في إفراغ التراب على جسدها:

"دعيني أحزر، كاتبة الرسالة تقى المكلمة، وأنتِ ذات الشخصيات العديدة؟"

أبعد إلياس تسنيم عن تقى، قائلاً بخشونة: "نحن مستعدون لدفع ثمن سماع الحقيقة يا حرف التاء." أغلقت تقى فمها بيدها في محاولة فاشلة لكتن شهقاتها، وعندما لم تستطع قدمت الورقة مع العدسة لإلياس في إشارة منها لإكمال القراءة.

حشر المحقق حلقة قارئاً: "أعتذر لمن أخبرته أنني بخير، أعتذر لمن وعدته بمقابلة أخرى، أعتذر لمن اعتقد بوجود الصداقة، والاعتذار الأهم أقدمه لنفسي، السؤال العظيم الآن: هل أستحق المسامحة بعد كل ما

حدث؟" قلب إلياس الورقة ولم يجد لها تابعًا، صرخ بانفعال: "أين بقية الكلام! فكل ما كُتب كان مقدمة!"

بملاح طابقت شحوب الأموات قالت تقى وسط التراب: "بقية الكلام يحدث أمامك على أرض الواقع يا عزيزي."

أمسك إلياس بشعر تقى يشده ليستقيم جسدها وهي لم تبدي أي ردة فعل حتى الألم تكبر أن يظهر على ملامحها! كزَّ إلياس على أسنانه تحدث بحروف ذات تهديد لا لبس فيه: "فرصتك الأخيرة للحدث وإلا فهذه آخر لحظات حياتك البائسة!"

أغمضت تقى عينيها: "لا أستطيع التفريق، هل هذا تهديد أم مديح؟ ألا ترى أنني أساعدك في قتلي؟ دفنت نفسي وأغمضت عيني، هيا أطلق النار ماذا تنتظر!"

تسليم بهدوء تعبث بمحتويات الصندوق: "هناك عقد آخر." ترك إلياس شعر تقى فجأة مما أدى لسقوط رأسها بعنف على أحجار القبر، هول الحادث يهز أي شخص إلا تقى التي لم يخرج الأنين من فمها، فهي كالحجارة أو أشد قسوة!

تكوّرت تقى كجنين في بطن أمه، ترتجف بشدة، وفي الوقت ذاته تضحك! فأصبحت ضحكاتها كأمواج ترسل آلاف الرسائل السرية.

ورغم أن إلياس بذل أضعاف طاقته لم يصب العقد أيّ شذخ! أراد تحطيمه! "بالتأكيد يحتوي سرّاً أعظم من سابقه!" قالها إلياس لنفسه وهو يضرب العقد بالصخر مراراً وتكراراً.

اعتدلت تقى، فالتقطت العقد بهدوء من إلياس لتحطمه بضربة واحدة قاتلة بسداجة في غير وقتها: "لو أنك طلبت هذا مني! فأنا الماهرة بتحطيم الأشياء. بالمناسبة العقد جميل لم أردت تحطيمه؟"

ضرب إلياس على جبينه: "مجرد عقد عادي! لا يحوي أيّ رسالة!" أمسكت تقى معدتها ضاحكة، وبعدما دمعت عيناها: "عادي؟ أضحككتني يا رجل، قلت لك سابقاً وسأكرر لا يوجد شيء في حياتي عادي!"

بنظرة لا تنسب لإنسان أمسكت تقى فتات العقد لتضعه في أماكن فارغة بالصندوق، عندما انتهت ابتسمت ابتسامة قبيحة وكشرت عن أسنانها: "أعزائي حان وقت النهاية!"

اعترافات غالية

ابتعدت الغيوم ساحةً للشمس أن تشاهد النهاية! هدأت الرياح لتوفر الهدوء اللازم لأكبر سر في حياة الكثيرين! تناثر التراب هنا وهناك كأنه يفرّغ حفرة مناسبة لشخص سيفقد حياته بعد تلاوة هذا النبأ! كانت شواهد القبور أكبر شاهد على الخبر الأعظم! فقد حدث من أقسم الكثير إنه لن يحدث!

أمسكت تقى يديها العاريتين كومة ضخمة من التراب تأملتها لوقتٍ ليس بقصير -رغم ذلك لم يجرؤ أحد على مقاطعتها- نطقت أول حرف بعدما تسللت آخر ذرة تراب خارج يديها: "لنبدأ من أول الحكاية! أرايتم كومة التراب التي هربت من يدي؟ كان هذا ملخص عملي لحياتي، جعلت من حياتي سلسلة متلونة هيهات أن تشبه إحدى السلاسل الأخرى! كأي قطعت نفسي ليذهب كل جزء مني في اتجاه، والنتيجة؟ شخصياتي الكثيرة! كل شخصية كانت تمتلك جانباً بسيطاً من شخصيتي الأصلية، هل تعرفون ما المضحك في الأمر؟ شخصياتي المزيفة أنستني شخصيتي الحقيقية نهائياً!"

ضحكت تقى لكن هذا لم يمنع دموعها من عدم رحمة وجهها الحائر بين الابتسامة والعبوس.

راقبت تقى الرسالة التي تشكّلت على الصندوق قائلة بوجه جامد خيف: "وَصَلْتُ إِلَى رَحْلَةِ اسْتِنْكَارٍ وَجْهِي فِي الْمَرَاةِ".

هزت تقى رأسها: "لنكمل القراءة: "... هناك حقيقة صدّقتها لا شك فيها، يوجد خيط رفيع بين الواقع والخيال؛ لكن هذا الخيط لا يراه إلا العقلاء، والأسف الأعظم يكمن في أنني لم أكن في حياتي يوماً من العقلاء!

حسبته واقعي، عشته باعتباره حياتي، مثلته لأخدع نفسي، حتى جاء ذلك اليوم، يوم نهش الواقع لي، كأن الواقع غرز أنيابه في رأسي ليَجْبِرني على التفريق، لكنني ناقمة بل ناقمة جداً على الواقع الذي تأخر في مهمته!

تلك الفتاة التي قلت لها كل أسراري قالت لي يوماً: إن حبيب قلبي نوح دمّرها وهي تريد تدميري لتنتقم، صرخت، استنكرت، أغمضت عيني لربما أنا في حلم، لكن هذا لم يغيّر من كون الأمر الحقيقة المرة.

داخلي يصرخ منذ زمن قديم... إن نوحاً ليس سوياً، نوح مريض! نوح يطيل الابتعاد عن البيت، نوح يزيّف الابتسامة، نوح يخطط لشيء سيئ كبير، كل هذه الصرخات تسكت مقابل صرخة حب واحدة من قلبي.

أعترف أنني مذنبه كذلك، فلم أحاول تغييره، أردته أن يكمل ما يجب من السوء، يومها أمسكت يد الفتاة ساحجةً لها بتدميري في محاولة يائسة لتخفيف ذنوب نوح!"

تسنيم: "أيُّ سوء يصلون إليه، لن يبلغ مقام سوئكِ يا ذات السوء." تقى بنصف ابتسامة: "تلميذتك." تسنيم بوجه ممتعض: "لا أعرفكِ حتى!"

تقى وهي تلعب بأصابعها: "واضح جدًا، كذلك لستِ أنتِ من هددني." ضربت تسنيم جبينها: "عُدنا لنقطة البداية!" تقى وقد برزت عروقها: "سنعود حتى تعترفي!" لعقت تسنيم شفيتها: "جيد، لنقول إنكِ صادقة، ما دليلكِ؟"

رفعت تقى حاجبًا ثم شرعت بالبحث في الصندوق، مكررةً جملتها كأن لا تسلية لها سواها: "في قبر تقى تكمن المفاجأة." صرخت فجأة: "وجدتها! أنكري أيضًا ملكية هذا العقد!"

بلعت تسنيم ريقها وماتت الكلمات في زاوية فمها، إلياس يضرب الهواء: "لا أفهم أيَّ شيء!"

زمت تقى شفيتها قبل أن تقول: "لا تقلق، الآن الكل سيفهم. هذا العقد أهدته تسنيم لسمًا، وسمًا أهدته لي، علمت من سمًا أن تسنيم اكتشفت

بعد فوات الأوان أنه جوهرة ثمينة تساوي ثروة مالية ضخمة، فأرادت استرجاعها عن طريق سما، رفضت ذلك قطعاً، حاولت تسنيم جاهدة معرفة نقطة ضعفي فاقتربت من الجشع فارس لتغدقه بالمال وهو يغدقها بالمعلومات الخاصة بي، كنت أعلم أن كل معلومة يفصح بها تقرّبه أكثر فأكثر من مصير بشع، لذا أخبرتك يا أيها المحقق العظيم أن حياة فارس الحرة جحيم، عندما اكتشف فارس خداعها كان الأوان قد فات ومنها دخل السجن!" كل كلمة قالتها تقى بشلالات دموع.

صفق إلياس: "جلبتك يا تسنيم لخبرتك في إقناع الناس بالاعتراف لأكتشف أنك مجرمة مثلهم! فور انتهائنا من سماع الحقيقة سيكون مصيرك السجن، أي حركة منك ستكون ضدك بالتأكيد!" تحدثت تسنيم بصوت خفيف سمعته تقى: "كأنك بريئة يا تاء ملاك!"

صرخت تقى: "لست بريئة ولن أكون!" ثم أكملت وهي تنظر ليديها: "أنا من قتلت تقى!"

دم أبيض

انهارت تقى وسط التراب: "... أردت تغيير العالم كما أهوى، لم يعجبني كوني تاليا فغيّرت لتقى، أردت إبقاء ذكرى من سلبت الحياة منها. ملّيتُ الاسم فبدلته كأنه قطعة ثوب إلى تسنيم، قدّست الاسم فقد أبعدي عن عين الشرطة وأمر مقتل تقى، اخترته بالذات حتى أتذكر شر تسنيم ولا أنخدع فيها. لكني الآن سئمت نفسي من كل الأسماء! بكل بساطة لا أريد الارتباط باسم فاكتفيت بحرف التاء فقط تاء."

فتح إلياس فمه لكنه أغلقه مسرعاً عندما رفعت تقى يدها قائلة: "لا تتحدث دعني أنهي كل الأمور ثم تحدث."

تنهدت تقى منزلةً رأسها لأسفل تكمل قراءة رسالة الصندوق: "... أنا أعلم أن فارساً سيقابلني غداً بظاهر شريف لكن باطن دنيء، أعرف تمام المعرفة أنني سأقتل، أخبرت الفتاة المجهولة بأمر الصندوق لتقرأ الرسائل في الوقت المناسب، للأسف صادقتها ودخلت قلبي، لن يهمني إن كانت تكرهني وتريد تدميرني فأنا لا أرغب في معاملتها بالمثل، غداً أؤكد عليها

قبل أن تقتلني أن تعيّر شخصيتها تمامًا وتكتّم هذا السر للأبد! أنا أستحق الموت ففي لحظة طيش مني خنت نوحًا وسلبت منه أموال آخر عملية مشبوهة له، أتمنى أن تعتني يا عزيزتي بحبيب قلبي نوح، ساحتك يا أيتها الفتاة الغريبة وأتمنى أن تسامحي نفسك "

شعقت تقى... ارتفع أنينها، غمست نفسها في التراب أكثر فأكثر: "أردت تخليص العالم من الأشرار، فقد كسرتني خيانة أحبابي لي، كسرتني بعد أحلامي مهما اقتربت منها، كسرتني تبرؤ الجميع مني، كسرتني خيانة فارس لي عندما تحدث بتورطي في الجريمة، الحقيقة أنني العقل المدبر وهو المنفذ، لكنه لم يعلم يومًا أنني العقل المدبر أخفيت الأمر ببراعة عنه، قد ذكر بلا برهان أن لي يدًا فقط ليدمرني. المضحك في الأمر أني عملت جاهدة لتخليص العالم من الأشرار ونسيت أو تناسيت أنني الشر الأكبر غير المتخلص منه!"

شكلت تقى يديها ترجو المحقق: "موتي قريب، كُلي رجاء أن أموت ويحيا آخر أثر لي في هذه الدنيا، انشر روايتي معاناة حلم! من كانت صديقتي سما ستساعدك حتمًا."

بحركة مفاجئة، أمسكت تسنيم سلاح إلياس المرمي على الأرض، قائلة بصوت مخيف: "كنت كاللعبة بين يديّ، وقد انتهى وقت اللعب يا

عزيزتي!" بلا مقدمات بحركة تقشعر لها الأبدان ويستنكرها مجرم المجرمين، صوبت بدم بارد تجاه تقى التي لم تحرك ساكنًا، بل ارتسم على وجه تقى ابتسامة -ولأول مرة منذ زمن بعيد جدًا ابتسامة رضا!- قالت تسنيم بنصف ابتسامة قبل أن تسرق الحياة من تقى: "وداعًا! لا تنسي السلام على تقى!"

تخيّل إلياس أن الصخر قد نطق من هول الموقف! ربما يصل الأمر أن ينبض في الصخر قلب بدلا من قلب تسنيم المتحجر! فأَيُّ قلبٍ هذا لا يفرض كلمته على صاحبه!

سلسلة جرائم

ما أبشع المنظر! دماء الحياة تهرب من جسد تقى كأنها سعيدة! إنها لأول مرة تغادر جسد أكبر متناقضة في التاريخ، لونها ما كان أسمر يومًا؛ رويدًا رويدًا تحول إلى الأصفر، شفتاها اللتان أضربتتا عن الحديث أيامًا وأيامًا حتى كان لها يد فيما يحدث لتقى، الآن تخلت عن لونها الكرزى إلى الأبيض، خانت تقى كثيرًا، لكن خيانتها لم تكن توازي خيانة يدها لها عندما لم تتصد للرصاصة، قلبها استسلم كما كانت تستسلم كثيرًا واستقال من منصبه، آخر ما استنتجه عقلها قبل أن يفقد سيطرته على أعضائها (من شاهدته في أحلامها يتهمها بأنها السبب كانت هي! ففعلها هي السبب في كل ما حدث لها!، أبسط مهمة لم تقدمها أذنها فهي لم تسمع صوت الرصاصة سارقة الحياة، عيناها رضخت للأمر الواقع وتقبّلت السواد الدامس!

المحقق مصدومًا: "قتلتها! خطئي أنني لم أقيدك منذ البداية! وضعت ذرة ثقة بك واكتشفت أنك لست أهلا لها بجدارة! أيها الضابط! خذ تسنيم القاتلة لمصيرها!"

العهد

بعد سنة...

تمشي سما بين شواهد القبور بثوبها الأسود الرقيق الذي عانق جسدها كأنه لم يصنع إلا لها، وصلت أخيراً لشاهد قبر كُتِبَ عليه (تاليا)، مررت يدها على الاسم، سقطت دمعة متمردة لتسقط معها سما، تحدثت: "الذكرى الأولى لفقدانك يا عزيزتي الغريبة، بهذه المناسبة جئتُك هدية، فتاتي، حققت لك ما لم تستطعي تحقيقه في حياتك، روايتك (معاناة حلم) رأيت النور عندما فقدتِ النور."

مددت سما جسدها بجانب القبر ولم تحاول قط كتم دموعها: "في هذه المدة الكل أخذ جزاءه العادل بلا استثناء.

حياتي بموتك قد انقلبت رأساً على عقب، لم تستحقي هذه النهاية، أنت شخص لم يفهم حياته وظلم نفسه بنفسه، اخترت أسوأ طريق للتغيير فكانت النتيجة أكثر سوءاً! لطالما نصحتك بأن الانتقام طريق يقودك للهاوية، ساعحي تسعدي، لكنني لم أجد منك أذناً مصغية.

هل تعلمين أن عمتكِ عرفت قيمتكِ بعد فوات الأوان؟ ففي كل مرة تنتهي زيارتي تبدأ زيارتها لقبركِ أشاهدها تبكي قبل أن أذهب، لكن بكاءها لا ينافس بكائي، فدموعها خارجية، بينما أحترق أنا من الداخل والخارج! أتقطع في كل مرة أتذكر فيها موتكِ ونحن متخاصمتان، حزينة بشدة لمعرفتي بموتكِ وأنتِ تملكين كل الشخصيات إلا شخصيتكِ الحقيقية! حزينة كثيرًا لأنكِ عشت حاضركِ في الماضي وأعطيته كل الفرص ليتحكم بك!

الآن الكلام لن يفيد، فقط أتمنى لكِ السلام يا من اعتبرتكِ صديقتي ولم تبادليني الشعور نفسه، كل الرحمة والغفران لكِ يا أكبر متناقضة في التاريخ"

قامت سما من جلستها متخبطة، ملقية نظرة الوداع الأخيرة على القبر، بأمل أن تزوره مجددًا كعادتها اليومية، هزت رأسها وهي تزم شفيتها، ناثرة زهور الذكرى البيضاء، وقلبها ينبض بالحب للمكان الذي لم يزرع حبًا.

تمت بحمد الله

